منبر الإسلام

دينية ثقافية

العدد الأول　　غرة المحرم ١٣٧٣ هـ — ١٠ سبتمبر ١٩٥٣ م　　السنة الحادية عشر

بسم الله الرحمن الرحيم

أمل ورجاء

رب وفقنى أن أعمل صالحاً ترضاه ، وأمدنى بعونك الذى لا ينضب معينه وبقوتك التى لا ينفد مددها وزدنى علماً فإنك عالم الغيب لطيف خبير .

يشرق علينا العام الهجرى الحادى عشر منذ نشأت مجلة منبر الإسلام (مجلة المساجد) التى كانت نبراساً تنير الطريق أمام من يتصدى للقيام بمهمة الدعوة والإرشاد ومعيناً صافيا يستقى منه المتعطشون إلى الثقافة الدينية والاجتماعية ، ويعلم الله أن القائمين عليها لم يألوا جهداً ولم يدخروا وسعاً ولم يضنوا عليها بوقت فى سبيل إعدادها وتهيئتها لأن تكون وسيلة فعالة فى بناء مجتمعنا المصرى وسائر المجتمعات الإسلامية . وقد كنا حريصين جد الحرص على الإجابة التفصيلية عن الأسئلة التى كانت توجه إلى المجلة قصداً منا إلى أن نزودها ببيان بعض الأحكام الشرعية لمشكلات تجد فى حياتنا أو لمشكلات قديمة تفرعت عنها منازعات بين بعض الطوائف الإسلامية مبتغين جمع الكلمة وتوحيد الصفوف وإيجاد المحبة والألفة بين جميع المسلمين خشية الفرقة والمنازعة واختلاف الكلمة .

وإننا فى هذا العام ليغمرنا الأمل ويقوى فينا الرجاء فى أن العالم الاسلامى جميعه قد قوى فيه الشعور بمرارة الفرقة وأيقن أن الاستعمار ما قوى فى البلاد الإسلامية وما اشتد سلطانه وزادت حدته وما نزع من قلبه الهيبة من المسلمين إلا من جراء تفرقهم واختلافهم وإعراضهم عن كتاب ربهم وسنة نبيهم وأن

الوعى الإسلامى اليوم لأقوى مما كان عليه فى أى وقت مضى فى العهود الأخيرة وها نحن أولاء الآن نرى ميثاق الضمان الجماعى واجتماع رؤساء أركان حرب الجيوش العربية ومحادثات زعماء المسلمين والعرب تزداد تواصلا وهى مشبعة بروح المودة ، ولقد أصبح أنين المراكشيين مسموعا يردده أخوه المصرى والأندنوسى والباكستانى وسائر شعوب المسلمين بعد أن كانت أصواتهم مكتومة خوفا من طغيان المستعمرين واستبداد المستبدين ، ولا ينكر أحد أن نهضات الأمم تقوم على عنصرين أساسيين : عنصر المادة وعنصر الروح والعقل والعلم والعرفان . فقد كثرت المؤتمرات حول المسائل السياسية والاقتصادية ولكنها إلى اليوم لم تتناول المسائل الاجتماعية والأخلاقية ، وليس من الحكمة إغفال هذه الناحية فيجب العمل على عقد مؤتمرات دينية أخلاقية اجتماعية فالعناية بهذه الناحية لاتقل أهمية فى واقع الأمر عن العناية بالناحية المادية فواجب القادة المشرفين على الناحية الدينية أن يعملوا على تهيئة الجو الصالح وأن يسعوا حثيثاً ويجدوا متشاورين فيما بينهم فى جميع العالم الإسلامى على عقد هذه المؤتمرات ليسير الإصلاح الروحى جنبا إلى جنب مع الإصلاح المادى وليقوى كل منهما الآخر ماداموا مقتنعين أن الحياة الصحيحة لاتقوى وتشتد إلا بقوة عنصرى المادة والروح فى الأمة الإسلامية .

ونظرة عابرة إلى المسلمين فى الصدر الأول نراهم لم يغفلوا الناحية الروحية أثناء فتوحهم للبلدان وأثناء بنائهم للعمران ، فقد كان المسجد ومنه تنشر التعاليم الإسلامية أول بناء يقيمه الفاتح فى البلدة التى يفتحها . ولقد كان الخلفاء يوصون قوادهم ببث التعاليم الإسلامية بين جنودهم اعترافا منهم بأن قوة الروح المعنوية فى الجندى أقوى سلاح وأمكن عدة عند المنازلة والجلاد

فها هو عمر بن الخطاب رضى الله عنه يوصى قائده سعد بن أبى وقاص

فيقول له أما بعد : فإنى آمرك ومن معك من الأجناد بتقوى الله على كل حال فإن تقوى الله أفضل العدة على العدو وأقوى المكيدة فى الحرب وآمرك ومن معك أن تكون أشد احتراساً من المعاصى منكم من عدوكم فإن ذنوب الجيش أخوف عليهم من عدوهم ، وإنما ينصر الله المسلمين لمعصية عدوهم ولولا ذلك لم تكن لنا بهم قوة لأن عددنا ليس كعددهم ولا عدتنا كعدتهم ، فإن استوينا فى المعصية كان لهم الفضل علينا فى القوة ، وإن لم ننصر عليهم بفضلنا لم نغلبهم بقوتنا ، واعلموا أن عليكم فى سيركم حفظة من الله يعلمون ما تفعلون فاستحيوا منه ولا تعملوا بمعاصى الله وأنتم فى سبيل الله واسألوا الله العون على أنفسكم كما تسألوه النصر على عدوكم »

وإن نهضتنا المباركة التى أخـــذت على عاتقها تطهير المجتمع المصرى من مفاسده وشروره لجدير بها أن تعير الناحية الأخلاقية اهتماما عظيما لا يقل عن اهتمامها بسائر النواحى . لأن فى تقويةهذه الناحية عوناً عظيما على تخفيف حدة التغالى فى النواحى المادية ، لأن التعاليم الإسلامية والنواحى الأخلاقية كفيلة (عند عرضها على وجهها الصحيح) بأن تكون المواطن الصـالح الذى يتسامى عن الأنانية والشره وحب الذات وتقديم المصلحة الشخصية ، ويجعل نصب عينيه المصلحة العامة التى تجلب الخير لجميع المواطنين معتقداً أن فى ذلك المسلك ، وهذا المنهج القويم رضاء رب العالمين ورضاء الناس أجمعين والله المستعان . .

عبد الله المراغى

مدير قسم المساجد بوزارة الأوقاف

هداية القرآن

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

قال الله تعالى : « إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً فى كتاب الله يوم خلق السموات والأرض ، منها أربعة حرم ، ذلك الدين القيم ، فلا تظلموا فيهن أنفسكم ، وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة ، واعلموا أن الله مع المتقين . إنما النسىء زيادة فى الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاما ويحرمونه عاما ليواطئوا عدة ما حرم الله فيحلوا ما حرم الله زين لهم سوء أعمالهم والله لا يهدى القوم الكافرين . يا أيها الذين آمنوا مالكم إذا قيل لكم انفروا فى سبيل الله اثاقلتم إلى الأرض أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة . فما متاع الحياة الدنيا فى الآخرة إلا قليل . إلا تنفروا يعذبكم عذاباً أليماً ويستبدل قوماً غيركم ولا تضروه شيئاً والله على كل شىء قدير . إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثانى اثنين إذ هما فى الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هى العليا والله عزيز حكيم » .

هذه آيات من سورة التوبة لم نبدأها بالبسملة لأن السورة لم تبدأ بها فإن الرسول ﷺ لم يأمر بذلك كما يؤخذ من حديث رواه الحاكم ولنا فى رسول الله

صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة وسميت هذه السورة سورة التوبة لما اشتملت عليه من قول الله تعالى (لقد تاب الله على النبى والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوه فى ساعة العسرة من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم ثم تاب عليهم إنه بهم رءوف رحيم . وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه ثم تاب عليهم ليتوبوا إن الله هو التواب الرحيم) .

وتسمى سورة براءة لأنها افتتحت بقول الله تعالى : (براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين . فسيحوا فى الأرض أربعة أشهر واعلموا أنكم غير معجزى الله وأن الله مخزى الكافرين) .

وتسمى أيضاً سورة الفاضحة لأنها فضحت المنافقين أكثر مما فضحتهم السورة المسماة بإسمهم فقد كشفت سورة التوبة عن أفاعيلهم ومكرهم ودسائسهم وأخلاقهم بل كشفت عما سيحدث منهم من انتحال المعاذير لتخلفهم عن الجهاد وما سوف يحلفون به وعليه لتبرير قعودهم عن القتال .

قال تعالى : « لو كان عرضاً قريباً وسفراً قاصداً لاتبعوك ولكن بعدت عليهم الشقة وسيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم يهلكون أنفسهم والله يعلم إنهم لكاذبون ، عفا الله عنك لم أذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم والله عليم بالمتقين . إنما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر وارتابت قلوبهم فهم فى ريبهم يترددون . ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم وقيل اقعدوا مع الخالفين . لو خرجوا

فيكم مازادوكم إلا خبالا ولأوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة وفيكم سماعون لهم والله عليم بالظالمين . لقد ابتغوا الفتنة من قبل وقلبوا لك الأمور حتى جاء الحق وظهر أمر الله وهم كارهون ومنهم من يقول ائذن لى ولا تفتنى ألا فى الفتنة سقطوا وإن جهنم لمحيطة بالكافرين) .

ويقول عز وجل (ويحلفون بالله إنهم لمنكم وما هم منكم ولكنهم قوم يفرقون ، لو يجدون ملجأ أو مغارات أو مدخلا لولوا إليه وهم يجمحون ومنهم من يلمزك فى الصدقات فإن أعطوا منها رضوا وإن لم يعطوا منها إذاهم يسخطون) .

ويقول جل شأنه (ومنهم الذين يؤذون النبى ويقولون هو أذن قل أذن خير لكم يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين ورحمة للذين آمنوا منكم والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم . يحلفون بالله لكم ليرضوكم والله ورسوله أحق أن يرضوه إن كانوا مؤمنين) .

ويقول : (المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ويقبضون أيديهم نسوا الله فنسيهم إن المنافقين هم الفاسقون) .

ويقول : (ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين ، فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون . فأعقبهم نفاقاً فى قلوبهم إلى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون) .

ويقول (فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله وقالوا لا تنفروا فى الحر قل نار جهنم أشد حراً

لو كانوا يفقهون . فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيراً جزاء بما كانوا يكسبون . فإن رجعك الله إلى طائفة منهم فاستأذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معى أبداً ولن تقاتلوا معى عدواً إنكم رضيتم بالقعود أول مرة فاقعدوا مع الخالفين ، ولا تصل على أحد منهم مات أبداً ولا تقم على قبره إنهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون . ولا تعجبك أموالهم وأولادهم إنما يريد الله أن يعذبهم بها فى الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون . وإذا أنزلت سورة أن آمنوا بالله وجاهدوا مع رسوله استأذنك أولو الطول منهم وقالوا ذرنا نكن مع القاعدين رضوا بأن يكونوا مع الخوالف وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون . لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا بأموالهم وأنفسهم وأولئك لهم الخيرات وأولئك هم المفلحون) .

ويقول (إنما السبيل على الذين يستأذنوك وهم أغنياء رضوا بأن يكونوا مع الخوالف وطبع الله على قلوبهم فهم لا يعلمون . يعتذرون إليكم إذا رجعتم إليهم قل لا تعتذروا لن نؤمن لكم قد نبأنا الله من أخباركم وسيرى الله عملكم ورسوله ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعلمون . سيحلفون بالله لكم إذا انقلبتم إليهم لتعرضوا عنهم فأعرضوا عنهم إنهم رجس ومأواهم جهنم جزاء بما كانوا يكسبون ، يحلفون لكم لترضوا عنهم فإن ترضوا عنهم فإن الله لا يرضى عن القوم الفاسقين) .

وإنما أكثرنا من الاستشهاد بالآيات التى فضحت المنافقين لأننا فى عهد جديد اتسم بالدعوة إلى الإصلاح والجهاد وما أشبه الليلة بالبارحة وليس أضر على دعوة الإصلاح من المنافقين ونرجو أن نوفق فيما يتسع لنا من الأعداد المقبلة إلى شرح بعض الآيات التى أوردناها .

وهذه السورة مدنية قيل ماعدا الآيتين الأخيرتين منها وهما : (لقد جاءكم

رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم ، فإن تولوا فقل حسبى الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم) فهاتان الآيتان مكيتان لأن عليهما طابع خطاب العهد الذى قبل مشروعية القتال كقوله تعالى : (فذكر إنما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر)

وقد نزلت أوائل سورة التوبة فى السنة التاسعة من الهجرة وهى السنة التى أمّر فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم على الحج أبا بكر الصديق ليقيم للناس الحج ثم بعث فى إثره على بن أبى طالب على ناقته العضباء ليقرأ على الناس فى الحج الآيات الأولى من سورة براءة إلى قوله تعالى ولو كره المشركون ، فلما لحق على بأبى بكر قال أبو بكر : أمير أو مأمور ؟ فقال على بل مأمور . وفى رواية أن أبا بكر رجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين ظن أنه عزل ، فقال يا رسول الله هل نزل فى شأنى شىء ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ولكن لا ينبغى أن يبلغ عنى إلا رجل من أهل بيتى ، فسار أبو بكر أميراً على الحج وعلى بن أبى طالب يؤذن فى الناس ببراءة ، فلما كان قبل يوم الترويه بيوم خطب أبو بكر فعلم الناس مناسك الحج ، فلما كان يوم التروية سار إلى منى ثم إلى عرفه ، ثم أفاض من عرفات إلى المشعر الحرام والمزدلفة ، وأصبح يوم النحر بمنى . ووقف على بن أبى طالب يوم النحر بمنى تلا الآيات الأولى من سورة التوبة كما أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم ونادى بالناس لا يطوف بالبيت عريان ، ومن كان بينه وبين الرسول عهد من المشركين فهو منقوض ، ومن لم يكن له عهد فأجله أربعة أشهر ، وأنه لا يدخل الجنة إلا نفس مؤمنة ، ولا يجتمع المشركون والمسلمون بعد عامهم هذا فى الحج ، ثم حج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى السنة العاشرة حجة الوداع . . وهى الحجة الوحيدة التى حجها فى الإسلام ولم يحج فيها مشرك ولم يطف بالبيت عريان وهى الحجة التى نزلت فيها يوم عرفة الآية الكريمة (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم

نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينا) وخطب خطبته الجامعة التى بين فيها كثيراً من أحكام الإسلام وقرر فيها حقوق الإنسان وفيها قال (إن الزمان قد استدار كهيئة يوم خلق الله السموات والأرض . السنة إثنا عشر شهراً : منها أربعة حرم ثلاث متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مضر الذى بين جمادى وشعبان)

وروى أن هذه العبارة ذكرها صلى الله عليه وسلم فى خطبة له بمنى يوم النحر وختمها بقوله « إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا فى بلدكم هذا فى شهركم هذا ، ثم قال : فليبلغ الشاهد منكم الغائب ، فرب مبلغ أوعى من سامع ألا هل بلغت (مرتين)

فكانت هذه الخطبة توكيد لما جاء فى الآيات الكريمة التى صدرنا بها هذا المقال وهى قول الله تعالى (إن عدة الشهور عند الله إثنا عشر شهراً فى كتاب الله يوم خلق السموات والأرض منها أربعة حرم) وإنما سميت حرما لأن القتال محرم فيها فهى هدنة جبرية فرضها الإسلام ليستطيع المسلمون أن يؤدوا فريضة الحج وأكثر ما تكون أسفاره فى ذى القعدة وذى الحجة والمحرم ليتمكن الناس فيها من التوجه إلى أماكن الحج والعودة إلى ديارهم آمنين ، ولا شك أن من أغراض الحج تبادل المنافع والتجارة . قال تعالى (ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم) قال كثير من المفسرين : ابتغاء الفضل قصد التجارة من الحج مع أداء الشعيرة ، فليس فى ذلك جناح وأصرح من هذه الآية قول الله تعالى (وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ، ليشهدوا منافع لهم) ومن المنافع التجارة .

وأما تحريم القتال فى (رجب مضر) فللتجارة ، وإنما سمى رجب مضر ، لأن قبيلة مضر كانت تحترمه أكثر مما تحترمه القبائل الأخرى ، فهذه هى الأشهر الحرم التى أشارت إليها الآية الكريمة وذكرها الرسول صلى الله عليه وسلم صراحة

فى خطبة حجة الوداع وإنما يحرم على المسلمين القتال فيها إذا احترمها الأعداء ولم يهاجموا فيها المسلمين وإلا جاز القتال فيها وذلك قوله تعالى (الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمات قصـــاص فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم)

وقوله تعالى (ذلك الدين القيم) معناه أن تحريم القتال فى الأشهر الأربعة هو الطريقة المستقيمة التى جاء بها الإسلام لخير الناس (فلا تظلموا فيهن أنفسكم) بإباحة القتال أو بارتكاب المعاصى فان ارتكاب المعاصى وإن يكن محرماً فى سائر الأزمان إلا أنه أشد تحريماً فى الأشهر الفاضلة .

وأباح الإسلام قتال جميع المشركين على اختلاف قبائلهم وأجناسهم كما يفعلون من تجمع ضد المسلمين ، يفيد هذا قول الله تعالى : (وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة واعلموا أن الله مع المتقين) ولما كان العرب فى الجاهلية قد درجوا على عادة يستحلون بها بعض الأشهر الحرم ويستبيحون فيها القتال كلما أرادوا وهو تأخير بعض الأشهر الحرم ، فكانوا إذا أرادوا القتال فى المحرم استحلوه وأخروه وحرموا بدله شهر صفر ، وهكذا إذا أرادوا القتال فى المحرم وصفر أخروا التحريم إلى ربيع الأول ، وهكذا أصبح التحريم عندهم لأربعة من الاشهر غير معينة بل هم يختارونها طبق أهوائهم وهذا ضلال مبين فوق ضلال كفرهم ، وقد زين الشيطان لهم سوء أعمالهم ، ذلك قول الله تعالى (إنما النسىء زيادة فى الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاماً ويحرمونه عاماً ليواطئوا عدة ما حرم الله فيحلوا ما حرم الله زين لهم ســوء أعمالهم والله لايهدى القوم الكافرين) .

والنسىء التأخير كما قدمنا ومعنى ليواطئوا أى ليوافقوا عدة ما حرم الله وهى أربعة أشهر عدداً لا أربعة أشهر معينة وهو مخالف لما شرع الله وتغيير لما أمر الله به فهو زيادة فى الكفر وخروج على طاعة الله .

ومعنى قوله تعالى (والله لا يهدى القوم الكافرين) أى لا يوصلهم إلى طريق السعادة ولا يأخذ بيدهم إلى طريق الخير لأنهم بعنادهم وإصرارهم على الباطل، بعد أن أبان الله لهم طريق الهدى والحق أقسوا قلوبهم وأقصوها عن نور الهداية فالطريق أمامهم مظلم رغم إضاءته ووعر رغم سهولته.

وأعقب سبحانه قصة المشركين بقصة المتخلفين عن غزوة تبوك من المنافقين وغير المنافقين فقال: (يا أيها الذين آمنوا مالكم إذا قيل لكم انفروا فى سبيل الله اثاقلتم إلى الأرض) وإنما خاطب المؤمنين لأنهم الذين يرجى منهم العمل بمقتضى النداء وينتظر منهم الامتثال والاتعاظ والانقياد، وغزوة تبوك كانت فى السنة التاسعة من الهجرة بعد رجوعه ﷺ من الطائف. وهى آخر غزوة خرج فيها الرسول ﷺ وسببها أنه صلى الله عليه وسلم علم أن هرقل جمع جيشاً كبيراً من قومه ومن أهل الشام وأن هذا الجيش قادم إلى المدينة فنادى صلى الله عليه وسلم بالتأهب للقتال وكان من عادته فى كل غزوة يغزوها إلا يوضح للناس وجهته التى يقصدها حتى لا تتسرب أخباره إلى أعدائه فيعملوا على إحباط خطته بل كان يورى فى حديثه ولكنه فى غزوة تبوك أوضح للناس وجهته ليستعدوا لأن هذه الغزوة كانت فى زمن حر شديد ولبعد المسافة فإن تبوك فى طرف الشام وبينها وبين المدينة أربع عشرة مرحلة، وجيش العدو كثير العدد كثير العدة وقد سمى الله هذه الغزوة (ساعة العسرة) ودعا الرسول ذوى الثراء من أصحابه إلى التبرع فى سبيل الله فتبرع عثمان بن عفان رضى الله عنه بعشرة آلاف دينار وتسعمائة بعير ومائة فرس وتبرع أبو بكر رضى الله عنه بكل ما يملك من المال وهو أربعة آلاف درهم وتبرع عمر رضى الله عنه بنصف ما يملك وتبرع عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه بمائة أوقية نقداً وتبرع العباس وطلحه وغيرهم بمال كثير وتبرعت النساء بحليهن وخرج ﷺ فى جيش كبير قيل ثلاثين ألفاً وقيل أربعين وعقد لواءه الأعظم لأبى بكر الصديق

وخلف على المدينة محمد بن مسلمة الأنصارى وسار حتى بلغ تبوك فأقام بها نحو عشرين ليلة يتأهب لقتال الروم ويترقب خروجهم إليه فبعثوا إليه (بحنة بن رؤبة صاحب أيلة) ليفاوضه فى الصلح فتم الصلح على جزية يدفعها الروم للمسلمين والجزية مال يدفعه أهل الكتاب ليصرف فى مصالح الدولة كما تصرف الزكاة وقد تخلف عن هذه الغزوة فريق من الناس منهم المؤمن المتثاقل عن القتال ومنهم المنافق المتربص بالمسلمين الدوائر . وفى تأنيب المؤمنين المتخلفين نزلت الآيات تنعى عليهم تثاقلهم بعد دعوتهم للخروج للقتال فى سبيل الله وفى هذا يلومهم أشد اللوم فيقول (أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا فى الآخرة إلا قليل) وليس من شأن المؤمن أن يرضى بالدنيا من الآخرة ولا بالقليل الفانى عن الكثير الدائم ثم هددهم بالعذاب فى الدنيا والآخرة وبالفناء والإذلال . فإن جزاء القاعدين عن القتال المتخلفين عن الجهاد المتثاقلين عن الكفاح أن يعذبهم الله فى الدنيا بالهوان والاستعباد وحبس المطر وأن يذهبهم ويأتى بقوم آخرين أو يبقيهم أذلاء مستضعفين ويملك بلادهم غيرهم وهذا لا يضر الله شيئاً وإنما يضر أولئك المخلفين فى كرامتهم وأمتهم وعزتهم واستقلالهم وأموالهم وأخلاقهم وأعراضهم ذلك قول الله تعالى : (إلا تنفروا يعذبكم عذاباً أليما ويستبدل قوما غيركم ولا تضروه شيئاً والله على كل شىء قدير) ثم ضرب لهم مثلا بأنه سبحانه قادر على نصرة رسوله ودينه دون حاجة إلى جهاد هؤلاء المتثاقلين وقتالهم فذكر حادث الغار يوم الهجرة حين آوى الرسول ﷺ وصاحبه أبو بكر الصديق رضى الله عنه إليه ووصل الأعداء إلى فم الغار يبحثون عنهما فدفع الله عنهما الطلب وحجب عنهما أبصار خصومهما فقد قال أبو بكر للرسول والله يا رسول الله لو نظر أحدهم تحت قدميه لرآنا فقال له الرسول : (يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما لاتحزن إن الله معنا) فكانت كلمة تدل على قوة الإيمان وكمال اليقين والثقة بالله

وتمام الطمأنينة وتمكن السكينة من قلبه وكان هذا تأييداً من الله بجنوده لرسوله وما يعلم جنود ربك إلا هو وبذلك صرف عنه الأبصار وصان صاحب الدعوة وصديقه وهما اثنان الله ثالثهما فعلت كلمة الله على كلمة الذين كفروا وانتصر جند الرحمن على جند الشيطان والله عزيز لا يغلب حكيم فى قضائه وقدره شاء سبحانه أن ينصر الرجلين الطريدين ويهزم جماعات الكفار المطاردين ذلك قول الله تعالى (إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثانى اثنين إذ هما فى الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هى العليا والله عزيز حكيم).

وليس غريباً أن يرسل الله يوم الهجرة جنداً من الملائكة يصدون كفار قريش ويصرفون وجوهم وأبصارهم عن رسوله وصديقه، فقد أرسل هؤلاء الملائكة فى غزوة بدر وغزوة حنين لمؤازرة المؤمنين قال تعالى فى شأن غزوة بدر (إذ يوحى ربك إلى الملائكة أنى معكم فثبتوا الذين آمنوا، سألقى فى قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان) ويقول فى شأن غزوة حنين (ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئاً، وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين، ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنوداً لم تروها وعذب الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين).

نعم هذا نصر الله أمد به رسوله فى الغار يوم الهجرة وأمد به المؤمنين يوم حنين ليعطيهم درساً بأن الحول حوله والطول طوله والنصر نصره يمد به المخلصين المناضلين المضحين، لا القاعدين المتواكلين المتثاقلين فهو حين نصر رسوله وصديقه فى الغار نصرهما لأنهما خرجا مخلصين لينجوا بالدعوة إلى

مكان أمين فأنجاهما الله وحفظهما ونصرهما وأتم لرسوله أمره وأظهر دينه ، ولكنه تخلى عن المؤمنين فى غزوة حنين لأنهم قالوا (لن نغلب اليوم من قلة) فنسبوا النصر للكثرة والهزيمة للقلة ، فأعطاهم درساً بأن النصر ليس للكثرة المتواكلة بل هى للفئة المؤمنة المخلصة الصابرة المتوكلة على ربها القوية الايمان اليقظة الوجدان المتوثبة إلى المجد ، الطموحة إلى نصرة الحق الآخذه بأسباب الغلبة ولو كانت قلة معدودة (كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله ، والله مع الصابرين)

فلما تعلم المؤمنون هذا الدرس القاسى نصرهم بعد أن أمدهم بجند من عنده وهو درس ما أجدرنا أن نتفهمه ونحذقه فى جهادنا ضد المستعمرين الغاصبين ، فعلينا أن نرسم خطا الرسول فى جهاده وأن نأخذ بأسباب النصر فلا نعتز بكثرتنا وقلة عدونا ، وعلينا أن نعد العدة وأن نضاعف من قوتنا المعنوية والمادية حتى إذا ما اكتملت لنا أسباب الغلبة ضربنا ضربتنا القاصمة والله معنا ، وحسبنا أن نعرف أن الرسول أصابه فى سبيل قضية التوحيد صنوف الأذى والاضطهاد فتدرعوا بالصبر والاحتمال ، ولم يأذن الله لهم فى القتال وهم قلة لا عتاد لهم ولا سلاح ولا حرية ، بل أذن لهم بالقتال بعد الهجرة من مكة إلى المدينة حين انطلقت لهم الحرية وكونوا من المهاجرين المخلصين والأنصار الصادقين جيشا استطاع أن يخيف المشركين وأن يؤرقهم وأن ينازلهم ويهزمهم .

ونحن إذ نستقبل عاما جديداً بين أصوات الحوادث الدامية والمحن العارمة نرجو أن يكون لنا من هذه الحوادث عظة ومن تلك المحن عبرة ، فكم من محنة فى طيها منحة ، وكم من شر يأتى فى ثناياه الخير . . وصدق الله إذ يقول : (فعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيرا)

جاد المولى سليمان

مفتش المساجد العام

هدى الرسول

لا هجرة بعد الفتح

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية »

(حديث شريف)

الهجرة فى الأصل الانتقال من مكان إلى مكان لغرض من الأغراض ثم أطلقت على الانتقال من بلد الشرك إلى غيره فى سبيل الدين وهى بهذا المعنى من أسمى الأعمال مكانة وأجزلها ثواباً لأن المهاجر يؤثر دينه على الأهل والمال وقد يكون فى مظهر الهجرة إيثار الدين على الوطن أيضا والواقع غير ذلك لأن المهاجر فى سبيل دينه ينتقل من وطنه الخاص إلى وطنه العام فإن الانتقال إلى بلد يأمن فيه على دينه من الفتن وعلى نفسه من الأذى والاضطهاد يجعل هذا البلد الآمن وطنا عاماً للمسلمين والحقيقة أن عقيدة الإيمان تجعل المؤمنين أخوة . وتكون منهم أسرة ومن بلادهم المختلفة وطنا واحداً متحد العقيدة متحد العبادات متحد الاتجاه متحد الأهداف وإن اختلف المناخ والعادات واللغات وحسبك أن القرآن الكريم لم يجعل للمؤمنين الذين قعدوا عن الهجرة حق الولاية قال « والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا .

هذا سر عظمة المسلمين قديما فقد فهم هذا المعنى أسلافنا فقويت وحدتهم وشوكتهم وعلت كلمتهم ورايتهم . وأغفلناه اليوم فحسبت كل دولة إسلامية أن لها كيانا خاصا ووطنا خاصا ومصلحة خاصة فتفرقت الوحدة وضعفت الشوكة.

والأصل فى مشروعية الهجرة إذن الرسول ﷺ لفريق من المسلمين فى الهجرة إلى بلاد الحبشة لأن فيها ملكا لا يظلم أحد عنده فبلاده بلاد أمن وسلام وعدالة وقول الله تعالى « إن الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين فى الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيراً إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم وكان الله عفواً غفوراً ومن يهاجر فى سبيل الله يجد فى الأرض مراغما كثيراً وسعة ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله وكان الله غفوراً رحيما » .

وأذن الرسول ﷺ للمسلمين فى الهجرة للمدينة بعد أن انتشر الإسلام فيها وعلم المسلمون أن لهم هناك ركنا شديداً يأوون إليه وأنهم سيكونون آمنين على دينهم من الفتنة وعلى أنفسهم من الأذى والاضطهاد .

وللهجرة مكان مرموق فى الإسلام لأنها تضحية فى سبيل الدين يشير إلى ذلك قول الرسول ﷺ : (لولا الهجرة لكنت امرأ من الأنصار) .

وأشاد القرآن بذكرى الهجرة والجهاد فى كثير من الآيات القرآنية فقال (إن الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا فى سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله والله غفور رحيم) .

وقال جل شأنه (فالذين هاجروا وأخرجوا من ديارهم وأوذوا فى سبيلى وقاتلوا وقتلوا لأكفرن عنهم سيآتهم ولأدخلنهم جنات تجرى من تحتها الأنهار ثوابا من عند الله والله عنده حسن الثواب) .

وقال عز من قائل (والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فأولئك منكم) .

وقال سبحانه (الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله وأولئك هم الفائزون . يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم .خالدين فيها أبداً إن الله عنده أجر عظيم) .

ويبين الله أهداف المهاجرين بقوله (للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون) .

أما الهجرة الكبرى التى جعلها المسلمون مبدأ تاريخهم فهى هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة يرافقه أبو بكر الصديق رضى الله عنه ، ولم تكن إلا بإذن من الله سبحانه وتعالى ، فقد عرض أبو بكر على الرسول صلى الله عليه وسلم من قبل أن يهاجر وحده إلى المدينة ، فأمره الرسول بالتمهل ، وقال : أرجو أن يؤذن لى فى الهجرة ، فلما أذن له أخبره ، فقال الصحبة يا رسول الله : قال نعم ، ولم يكن نجاح الهجرة أمراً وليد المصادفة ، أو معجزة خالية من تدبير ، فقد اشتملت الهجرة على معجزات خارقة للعادة ، كما اشتملت على الخطة البارعة الموضوعة بإحكام ليضرب صلى الله عليه وسلم المثل لمن يريد النجاة من أعدائه،ومؤامرة خصومه،فقد بدأت الهجرة فى أواخر

صفر فى ليلة مظلمة ليكون ذلك أدعى إلى الخفاء ، ثم أمر عليا أن ينام فى فراشه ويتسجى ببردته فى ليلة الهجرة ليصرف نظر المتربصين عنه ، ظنا منهم أنه لا زال فى فراشه ، وكانت الهجرة فى الليلة التى حددوها للفتك به ، وتجمعوا فيها حول داره وكان هذا تحدياً ظهرت فيه المعجزة ، حيث ألقى الله النعاس عليهم ساعة خروجه ، فلم يروه ، ثم كان أعداد الراحلتين وإرسالها إلى حيث تبدأ الرحلة مع دليل ماهر عارف بالطريق فانتظرها مدة مكثهما بالغار .

وهنا معجزة المعجزات فى هذه الرحلة ، فقد أعمى الله أبصار القوم وهم يبحثون عن محمد وصاحبه حتى وصلا إلى فم الغار ، وهنا يقول أبو بكر للرسول : (لو نظر أحدهم تحت قدمه لرآنا) ، وتحدث عن إجابة الرسول صلى الله عليه وسلم وثباته فى أحرج الأوقات ، وأدق الظروف ، ، فقد تحدث القرآن عن ذلك فقال : (إذ هما فى الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها) .

ثم يسيران فى الطريق فيدركهما سراقة بن مالك حتى إذا اقترب منهما يريدهما بسوء عثرت دابته وسقط من فوقها ، فأيقن سراقة بأن لها شأناً فطلب الأمان فأمنه الرسول على أن يخفى أمرهما ولقد وفى ، وهذه آيات من آيات الله العلى القدير ، وكم فى الهجرة من آيات بينات .

وهكذا انتهت الهجرة إلى غايتها ، فسلم صاحب الدعوة وارتفعت رايتها فى عاصمة الإسلام التى احتضنت هذه الدعوة وأكرمت وفادة من هاجر إليها من المسلمين المطاردين ، وآخى الرسول صلى الله عليه وسلم بين الأنصار والمهاجرين إخاء كانوا يتوارثون به بادىء ذى بدء .

ولكن هناك جماعة بمكة قعدوا عن الهجرة لا عن تقصير أو تفريط ، ولكن عن عجز وضعف ، أولئك الذين قال الله فيهم : (إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا ، فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم) .

وهناك جماعة أخرى بمكة وغير مكة لم يستعلنوا بإسلامهم بعد أن اطمأنت قلوبهم بالإيمان خوفا من أذى المشركين ، أفيترك صاحب الرسالة هؤلاء وهؤلاء دون أن ينقذهم ويؤمنهم على دينهم ، أو لا بد من إفساح الطريق أمام هؤلاء وهؤلاء . ولا بد من القضاء على الإرهاب ، وتأمين الطريق وخلق جو طليق ، يستنشق فيه الراغبون فى الإسلام عبير الحرية .

ثم إن للمهاجرين أموالا وديارا بمكة خلفوها وراءهم إيثارا لدينهم على دنياهم ، وهؤلاء المهاجرون اعتادوا كغيرهم من العرب ، التجارة فى الشتاء مع اليمن وطريقها مكة ، ومشركو مكة يستطيعون ذلك بل ويستطيعون الاتجار صيفا مع الشام . أفليس من العدالة أن يمنع هؤلاء المشركون من الرحلة إلى الشام ، كما منعوا المسلمين من الرحلة إلى اليمن ، وأليس من القصاص العادل أن يصادروا تجارتهم ما استطاعوا كما صادروا أموال المسلمين وديارهم .

وما سبيل ذلك ، إنها القوة وقد تهيأت للمسلمين قوة الإيمان وقوة السلاح وقوة الشجاعة ، فأذن الله للمسلمين بالقتال ، ونزل قول الله تعالى : (أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا ، وإن الله على نصرهم لقدير ، الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز) .

وكانت غزوة بدر حيث تعرض المسلمون لعير قريش وهى راجعة بتجارة من الشام . وما كان هذا قطعا للطريق ولا سعيا لأخذ المال عدوانا كما يقول أعداء الإسلام وإنما هى المقاصة ، حصار اقتصادى بحصار اقتصادى ومصادرة مال بمصادرة مال ، وإشعار للمسلمين المستضعفين هنا وهناك بأن المسلمين قوة تستطيع الانقاذ والدفاع والهجوم عند الاقتضاء ، وانتهت معركة بدر بنصر مؤزر للمسلمين رفع رايتهم وهامتهم وذكرهم فى جزيرة العرب ولم يقلل من

أهميته هزيمة أحد فقد تلاه نصر ونصر حتى فتحت مكة وانطلقت الحريات من عقالها ؛ حرية العقيدة وحرية التعبد وحرية التنقل وحرية التجارة ، فلم يعرف عن الإسلام أنه صادر حرية العقيدة والتعبد لأهل دين من الأديان السماوية ، فإنه قدس الحرية الدينية فى قوله تعالى : « لا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى » . وإنما يصادر الشرك لأن جميع الأديان تضافرت على مصادرته لأنه ليس ديناً وإنما هو تفريق لكلمة الناس بعبادة أرباب متفرقين ما أنزل الله بها من سلطان .

وبفتح مكة لم يعد هناك ما يدعو إلى الهجرة من أجل حرية العقيدة أو حرية التعبد أو حرية التملك أو حرية التجارة ، فقد كفل فتح مكة هذه الحريات جميعا كما تقدم فلا هجرة بعد الفتح ، وإنما بقى الجهاد والنية ، والجهاد باق ما بقيت دعوة إلى الحق والعدل والإصلاح ، فكلمة الحق جهاد وإقامة العدل جهاد والقضاء على الباطل والظلم والفساد جهاد ، وليس الجهاد مقصوراً على القتال بالسلاح ، فقد مكث الرسول صلى الله عليه وسلم بمكة سنين يجاهد المشركين بالدعوة إلى الحق والتوحيد ، متحملا الأذى متدرعا بالصبر ، وقد يكون بالسلاح إذا ما تهيأت أسباب القوة وتجمعت أسباب الغلبة ؛ وإلى قائد الجماعة ومن حوله من أهل الحل والعقد يرجع التوجيه والفصل وليس كل جهاد مشكور مالم تصحبه نية صالحة صادقة فى سبيل الإصلاح والخير، فقد يكون ظاهر الأمر من الجهاد إصلاحا، ولكنه يخفى خلفه مصالح شخصية فكم من حق أريد به باطل ، وكم من جهاد فى ساحة القتال أريد به صون الكرامة والذود عن المظلومين ، ولكنه ينطوى على أغراض ومطامع، فذلك جهاد فى سبيل الشيطان . وقد سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم : (يارسول الله ؟ الرجل يقاتل شجاعة، ويقاتل حمية ويقاتل ليرى مكانه فأى ذلك فى سبيل الله فقال من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا فهو فى سبيل الله) والله أعلم

بيومى رضوان — خطيب مسجد شيخون البحرى

أسرار الشريعة

فتـــاوى

حضرة صاحب الفضيلة مولانا الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر حفظه الله .

السلام عليك ورحمة الله وبركاته ، قد أفتانا فضيلة الشيخ حسين معوض المدرس بمعهد المنشاوى بطنطا بجواز صلاة الجمعة خلف الراديو بالمنزل أو بأى مكان . وفعلا قد أديت صلاة الجمعة الماضية بالمنزل خلف الراديو مع بعض أفراد عائلتى .

بعد ذلك تقابلت مع فضيلة الشيخ عبد الله سعد من كبار العلماء بطنطا فأفتى بعدم جواز ذلك . وكلاهما يصر على رأيه .

فنرجو من فضيلتكم إظهاراً للحقائق إعلان الرأى الشرعى الفاصل فى هذا الموضوع على صفحات الجرائد .

وتفضلوا يا صاحب الفضيلة بقبول عظيم الاحترام .

مصطفى كامل عبده
بقلم قضايا الأوقاف بطنطا

الجـــواب

أما بعد . فقد اطلعت اللجنة على هذا السؤال وتفيد بأن الجماعة شرط فى صحة الجمعة والجماعة لا تتحقق إلا إذا كان المأمومون مع الإمام فى مكان واحد على تفصيل المذاهب وشروط لا تنطبق على هذه الحالة المسئول عنها .

وحينئذ فصلاة الجمعة فى أى مكان اعتماداً على السماع بواسطة الراديو

صلاة باطلة ومن صلاها كذلك كان غير مؤد للجمعة ووجب عليه صلاة الظهر . والله أعلم .

* * *

ورد إلى لجنة الفتوى استفتاء جاء فيه أن السائل اطلع فى إحدى المجلات الإسلامية على سؤال هذا نصه : « غاب خطيب المسجد يوم الجمعة وأتى المصلون براديو واستمعوا إلى الخطبة المذاعة ثم قام أحد المصلين وصلى بهم الجمعة فهل هذه الخطبة تكفيهم وتكون صلاتهم صحيحة » .

وأجيب على هذا السؤال بما نصه : « الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد ، فإن الذى يفهم من مذهب الحنفية أنه لا مانع من انعقاد الجمعة وجواز صلاتها إذا كان الأمر كما ذكر . إذ الحنفية لا يشترطون فى الخطيب أن يكون هو نفس الإمام بل أباحوا للخطيب أن يخطب ولو كان جنباً . وقالوا إنه ليس له أن يكون طاهراً ولو خطب جنباً ثم اغتسل وصلى جاز . وقالوا لا ينبغى أن يصلى غير الخطيب لأنهما كشىء واحد فإن فعل بأن خطب صبى بإذن السلطان وصلى بالغ جاز وهو المختار وفى الظهيرية لو خطب صبى اختلف المشايخ فيه والخلاف فى صبى يعقل والأكثر على الجواز . ويفهم من ذلك أنه يجوز صلاة الجمعة بعد سماع الخطبة من المذياع إذا توافرت شروط الوجوب فى صلاتها ما دام لم يشترط اتحاد الخطيب والإمام . وكذلك الأمر فى مذهب مالك فقد جاء فى متن خليل وشرح الخرشى عليه : إن الجمعة تؤدى بإمام عليم وبكونه الخطيب إلا لعذر ، يعنى أنه يشترط ألا يصلى غير من خطب إلا إذا حصل للخاطب عذر من مرض أو جنون أو نحوها ويجب عليه الاستخلاف وإن لم يستخلف صلى غيره والله أعلم ، انتهى .

ثم قال فنرجو من فضيلتكم بيان حكم الشريعة فى الاكتفاء بالخطبة من الراديو وفى حكم الخطبة مع الجنابة هل تكفى لصحة الجمعة وهل يجوز للإنسان أن يخطب وهو جنب ؟

حسن الطوخى . شباس الملح

الجـــــواب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد : فقد اطلعت اللجنه على هذا السؤال وهو يطلب أولا :ـ

أولا : معرفة حكم الشريعة فى الاكتفاء فى خطبة الجمعة بسماعها من الراديو دون أن يكون الخطيب موجوداً بين جماعة المصلين .

ثانياً : رأى اللجنة فيما استدل به بعض المفتين على جواز الاكتفاء فى صلاة الجمعة بسماع الخطبة من الراديو .

ثالثاً : حكم الشريعة فى خطبة الجنب من اجزائها عن الخطبة المطلوبة شرطا لصحة الجمعة ومن جهة جوازها شرعا دون إثم أو حرمة .

عن الأول : بأن خطبة الجمعة من الأفعال التى توارثها المسلمون فى جميع الأقطار عن عهد النبى ﷺ إلى يومنا هذا ، ولم ينقل عن عصر ما أن جماعة من المسلمين أدوا صلاة الجمعة من غير خطبة . وكذلك توارث المسلمون عن عهد النبوة إلى يومنا هذا أن يكون لكل جماعة تجتمع لأداء صلاة الجمعة خطيب يقوم بينهم فى المكان الذى يقيمون فيه الصلاة يعظهم ويرشدهم ويرد إلى الصواب من يراه منهم قد حاد عن طريقه فارتكب مالا ينبغى أو ترك ما ينبغى .

ولا ريب أن مجرد سماع الخطبة من شخص يرسلها من مكان غير المكان الذى يجتمع فيه القوم لا يحقق هذا التوارث ولا يصح فى متعارف الناس أن يطلق على ذلك الشخص أنه خطيب القوم . هذا ـ وقد قرر الفقهاء بالنظر إلى خطيب الجمعة أحكاما لا يتصور تطبيقها إلا إذا كان الخطيب مع القوم فى المكان الذى يقيمون فيه الصلاة .

ومن هذا الاحكام اشتراط حضور جماعة من الناس الخطيب وقت الخطبة حتى تكون الخطبة صحيحة محققة لشروط صحة الجمعة وإن كان الفقهاء قد اختلفوا فى أقل عدد يتحقق به هذا الشرط ، ومن المعلوم أن حضور الناس الخطيب

معناه وجودهم معه فى مكان الاجتماع وقت الخطبة فهو شىء غير السماع الذى تكون دون حضور فالسماع وحده لا يحقق الشرط المطلوب لصحة الخطبة .

ومن هنا صرح المالكية بأنه يشترط فى صحة الخطبة أن يكون الخطيب داخل المسجد الذى تقام فيه الجمعة ، ولا تصح الخطبة إذا كان الخطيب فى رحبة المسجد أو فى الطرق المتصلة به فمن باب أولى لا تصح إذا كان الخطيب يذيع خطبته من غير مكان الاجتماع .

وفى السؤال الثانى الخاص برأى اللجنة فيما استدل به بعض المفتين على جواز الاكتفاء فى الخطبة بسماعها من الراديو .

تقرر اللجنة أن ما استند إليه فى ذلك من مذهبى الحنفية والمالكية معناه أنه لا يشترط فى صحة صلاة الجمعة أن يكون الإمام هو الخطيب الذى خطب القوم ، فيصح أن يخطب فيهم واحد على الوجه الذى بيناه ، ثم يصلى بهم رجل آخر . ولا صلة لهذا الموضوع بالاستفتاء وهو الاكتفاء بسماع الخطبة من رجل لم يكن موجوداً مع القوم .

وعن السؤال الثالث — بأنه معلوم أن الخطبة ليست جزءاً من الصلاة فليست الطهارة شرطاً فى صحتها كما هى شرط فى الصلاة ، فلو خطب الخطيب وهو جنب كانت الخطبة مجزئة يتحقق بها شرط صحة الجمعة ، ولكن مع هذا قرر الفقهاء أن طهارة الخطيب عن الجنابة واجبة يأثم الخطيب بتركها لو كان متعمداً ذلك ولا عذر له . . .

ونظراً إلى أن صلاة الجمعة إنما تكون عادة فى المسجد وأن الخطبة قلما تخلو من تلاوة آيات القرآن الكريم ، وأنه حرم على الإنسان أن يدخل المسجد أو يقرأ شيئاً من القرآن وهو جنب . تقرر اللجنة أنه لا يجوز لمسلم أن يفتى بجواز الخطبة مع الجنابة وإن صحت الخطبة . ومن المقرر فى أحكام الشريعة أنه لا تلازم بين حرمة الفعل وعدم صحته ، فكثيراً ما يكون الشىء حراما وهو مع ذلك صحيح مجزىء يسقط به التكليف ويخرج الإنسان به عن العهدة .

وبهذا علم الجواب عن السؤال . والله أعلم

٢٠ من رجب سنة ١٣٧٢ هـ ٩ من ابريل سنة ١٩٥٣ م

رئيس لجنة الفتوى

محمد عبد الفتاح العنانى

سؤال وجواب

حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ مدير المساجد حفظه الله ذخراً للإسلام .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته :

وبعد فإن المرأة المسلمة كانت محرومة عهوداً طويلة من التعليم الدينى والثقافة الوعظية ، والآن بحمد الله قد فتح فى الإسلام باب عظيم فى هذا الشأن فدخلت الثقافة الدينية والوعظ إلى تلك المحرومة فى بيتها ، ولكننى وأنا مدرس بأحد المساجد سئلت كثيراً عن المرأة فى بيتها هل يصح أن تصلى الجمعة خلف المذياع ؟ فكان جوابى أنه لا يصح ذلك .

وأبنى عدم الصحة على أحد ثلاثة أمور : أولا أن الجمعة لاتصح إلا فى عدد . ثانياً لو فرض أن الإمام كان يصلى غير الجمعة وليكن الظهر مثلا فإن المانع يكون زمنياً إذا تصورنا الامام بالقاهرة والمؤتمون فى أقصى الغرب كالواحات ومرسى مطروح مثلا حيث يكون قد بقى عن الظهر عندهم حوالى ربع ساعة ثالثاً أن المانع يكون مكانياً لو تصورنا الإمام بالقاهرة أيضاً والمؤتمون بأقصى الشرق من مصر ، سواحل البحر الأحمر فأنهم يكونون متقدمين على الأمام، وعلى فرض استيفاء الشروط فان هذا يهون من أمر الدين ويجعله جافاً لا روح فيه شأن الأعمال العسكرية والألعاب الرياضية وما جاء الدين إلا لنشر المحبة والتعاون بين الناس كما يفهم من حكمة تشريع صلاة الجماعة .

من أجل هذا أرجو تنبيه حضرات الأئمة سواء الذى يذيع فى حى خاص بالمكبر أو الذى يصلى فى الإذاعة ـ أرجو لفت نظرهم أن لا يذيعوا الصلاة بل يكتفوا بإذاعة الخطبة فقط منعاً للتخليط على العوام ومحافظة على الخشوع الذى هو أهم ركن فى الصلاة جعلكم الله حصنا للدين وحماية المسلمين والسلام عليكم ورحمة الله ؟

توفيق محمد صيام

إمام مسجد جمال الدين شيحه بدمياط

حول فتوى وقت العشاء

حضرة صاحب الفضيلة رئيس تحرير مجلة منبر الإسلام

ورد فى عدد غرة رمضان سنة ١٣٧٢ (٢٤ مايو سنة ١٩٥٣) تحت عنوان أسرار الشريعة والفتاوى جواب السؤال الآتى (ما حكم من صلى العشاء قبل الميعاد المحدد فى التقاويم بحوالى ربع ساعة تقريبا ، هل تصح صلاته أو لا تصح..؟) وجاء فى الإجابة ما يفيد صحة هذه الصلاة .

وأقول إن للأستاذ المفتى العذر لأنه شرعى فقط وهذه المسألة « تاريخية فلكية أكثر منها شرعية » .

لذلك أرجو أن تتفضلوا باستدراك النشر فى العدد الآتى لتصحيح الجواب بأن (هذه الصلاة وقعت قبل دخول الوقت عند جميع الأئمة فهى باطلة يجب إعادتها) .

إذ أن المواعيد المحددة فى التقاويم المصرية الآن ـ أعنى عام سنة ١٣٧٢ ﻫ لوقت العشاء إنما هى لغروب الشفق الأحمر ـ مذهب غير أبى حنيفة من الأئمة ، وعليه لا تصح صلاة العشاء قبل هذه المواعيد عند إمام من الأئمة الأربعة .

وأما جواب الأستاذ المفتى فى عدد رمضان فقد تابع فيه ما ورد فى بعض كتب الفقه الحديثة ككتاب المذاهب الأربعة المطبوع على نفقة وزارة الأوقاف وفيه نقل دون تحفظ عن كتب شرعية قديمة ألفت أيام أن كانت التقاويم والأذان فى المساجد العامة وتخطيط آلات الوقت لغروب الشفق الأبيض ، مذهب أبى حنيفة . وقد ورد فى بعضها الذى اطلعت عليه ما نصه : (ولما كانت الدائرة الحمراء لا تنضبط انضباط البيضاء جعلت آلات الوقت والحساب على مذهب أبى حنيفة فى أن الشفق البياض ، ولذا من صلى اليوم العشاء قبل الأذان بيسير يجزئه لأن دائرة الشفق الحمراء تكون حينئذ قد غابت) اﻫ بنصه

وقد وجدت أيضا فى كتاب المذاهب الأربعة المذكور صفحة (١٥٧)

جزء أول طبعة أولى ما نصه : (فالشفق عند أبي حنيفة هو البياض) إلى أن قال (وعليه عمل المساحة اليوم) يريد حساب التقويم الذى تصدره "مصلحة المساحة الحكومية المصرية سنويا . وقال فى الصفحة التى تليها مانصه : (الشافعية قدروا مغيب الشفق الأحمر بساعة وأربع دقائق من مغيب قرص الشمس) هذا وقد استند إلى عبارة هذا الكتاب أستاذان عظيمان شرعيان فى فتواهما فى مجلة نور الإسلام صفحة (٦٩٩) لسنة ١٩٣٥ إجابة على مثل هذا السؤال بتصحيح هذه الصلاة بناء أيضا على أن وضع التقاويم على مذهب أبي حنيفة فى أن الشفق البياض .

هذا وقد قلنا غير مرة ، إن من الخطأ الذى لا يغتفر أن يعمل أو يفتى بظاهر هذه العبارات على إطلاقها هذا ، لأن أصلها محرر فى زمن كان فيه تخطيط آلات الوقت وحساب التقاويم على غروب الشفق الأبيض لوقت العشاء مذهب أبي حنيفة من سنة ٢١٠ هجرية حين عهد المأمون إلى فلكية بعمل آلات الوقت وحساب التقاويم وكانوا عراقيين بغداديين بلدى أبي حنيفة فخطوها على مذهبه لمغيب الشفق الأبيض و١٨ درجة سمتية ، وانتشر هذا النظام فى بلاد العالم الإسلامى ومنها مصر ، واستمر عليه الأذان فى مساجدها العامة إلى أن استبدل هذا النظام بنظام الشفق الأحمر فى مصر وبلاد المغرب سنة ٣٨٨ هجرية وجعلت آلات الوقت وحساب التقاويم وأذان العشاء فى مساجد مصر العامة من ذلك الحين للدرجة (١٦) وقت مغيب الشفق الأحمر بدل (١٨) وقت مغيب الشفق الأبيض بإشارة الفلكى الشهير أبي الوفاء اليوزجانى وكان شافعى المذهب ومن أهل الرصد والهيئة . . .

ثم لما تبين لمحقق علماء الهيئة والرصد من الفلكيين الناشئين بعد اليوزجانى (كأبي الحسن المراكشى وأبي ريحان البيرونى ونصير الدين الطوسى والمؤيد العرضى وابن الشاطر وأسرة الماردينى) أن الشفق الأحمر قد يمتد إلى (١٧ درجة سمتية) كما يمتد الأبيض إلى (١٩ درجة سمتية) أى بزيادة درجة واحدة فى

كل منهما على الأكثر بسبب الضغط الجوى ورطوبته، غيروا نظام الـ ١٦ درجة فى تخطيط الآلات وحساب التقاويم إلى نظام الـ ١٧ درجة لمغيب الشفق الأحمر

ونفذ هذا النظام الأخير فى جميع البلاد المصرية ومساجدها العامة فى أوائل القرن التاسع الهجرى أى حوالى سنة ٨٢٦ هجرية بإشارة جمال الدين الماردينى الشافعى وكان أستاذ علم الفلك بالأزهر إذ ذاك واستمر العمل على هذا النظام فى حساب التقاويم المصرية عموما حكومية وغير حكومية وفى أذان العشاء فى جميع مساجدها إلى الآن أعنى عام سنة ١٣٧٢ هجرى (سنة ١٩٥٢ - ١٩٥٣م) .

وأما عبارة (ساعة وأربع أو ثمان دقائق زمنية) فقد وردت فى بعض كتب الفلكيين الشرعيين مقيدة بحالة خاصة ولكنها نقلت إلى بعض كتب الفقه دون قيدها لعدم علم الناقل باصطلاح الفلكيين وهو محل الأسف ، والحالة الخاصة بهذه العبارة أن تكون البلد على خط الاستواء الأرضى يومى الاعتدالين إذ ينطبق المدار اليومى للشمس حينئذ على دائرة سمت البلد .

والمدار اليومى هذا هو الذى تساوى درجته أربع دقائق زمنية نتيجة قسمة الـ ٢٤ ساعة التى هى مدة حركة الشمس الظاهرية حول الأرض مرة فى يوم بليلة على ٣٦٠ درجة) هكذا $\frac{٢٤ \times ٦٠}{٣٦٠}$ = ٤ دقائق زمنية .

وأما الدائرة السمتية وتسمى (الرأسية أو الارتفاعية) وهى التى يقدر بأقواسها ارتفاعات أو انحطاطات الشمس عن الأفق لتقدير الازمان والأوقات ففى البلاد البعيدة عن خط الاستواء تزيد مدة درجتها عن أربع دقائق بنسبة هذا البعد مع ميل الشمس عن خط الاستواء السماوى إذ تبلغ فى القاهرة (عرض ٣٠) خمس دقائق ونصف تقريبا فى يوم الانقلاب الصيفى (٢١ يونيه) فتكون حصة المغرب لمغيب الشفق الأحمر ١٧ × ٥ر٥ = ٩٣ أعنى ٣٣ ق ١ ساعة

وفى باريس (عرض ٣٠) حينئذ أيضا (٩ دقائق وتكون حصته المغرب

لمغيب الشفق الأحمر هناك (١٧ × ٩ = ١٥٣ دقيقة أعنى ٣٣ ق ٢ ساعة .

وهكذا كلما زاد عرض البلد وميل الشمس زادت مدة الدرجة السمتية وزادت حصة المغرب لمغيب الشفق الأحمر . . .

وإذاً فلا يصح أن يعمل أو يفتى بعبارة (ساعة وبضع دقائق) لمغيب الشفق الأحمر فى كل بلد وفى كل يوم ومن الخطأ جداً أن تطلق هذه العبارة ذلك الاطلاق دون ذكر قيدها بحالتها الخاصة المتقدمة . . .

ومن هنا يتضح أن للشريعة الإسلامية ارتباطا وثيقا بعلم الفلك (الهيئة والميقات) خصوصا مسائل تحديد أوقات الصلوات الخمس وأيام الصيام والفطر والحج والأعياد والمواسم الاسلامية والاتجاه الى الكعبة المشرفة فى الصلاة وتفسير آيات كثيرة من القرآن الكريم ، ولا بد لرجال الدين الإسلامى من التزود بشىء من هذا العلم تزود الوسائل للمقاصد بل يجب على الكفاية أن يكون بين خريجى الأزهر فرقة مخصصة فى اتقانه ليكونوا فلكيين شرعيين يرجع إليهم فى مثل هذه الفتوى وفى هذا القدر كفاية مع إجماله . . .

على أنه إذا ابتغى بعض الإخوان تفصيلا لهـذا الموضوع ففى عدد آخر إن شاء الله .

محمد أبو العلا البنا

من العلماء ومدرس الفلك بالأزهر

١٩ ذى الحجة سنة ١٣٧٢ هـ

٢٩ أغسطس سنة ١٩٥٣ م

تعقيب حول وقت العشاء

نشرنا فى هذه المجلة بالعدد التاسع من السنة العاشرة فتوى بشأن وقت العشاء جاء فيها أن وقت العشاء يدخل بمغيب الشفق الاحمر عند المالكية والشافعيه والحنابلة وأبى يوسف ومحمد من الحنفية . ويتحقق ذلك بانقضاء

ساعة وبضع دقائق بعد الغروب وبمغيب الشفق الابيض عند أبى حنيفة وهو يتأخر بعض الوقت عن الشفق الاحمر .

وقد كتب لنا فضيلة الشيخ أحمد جابر أن هذه الفتوى تخالف مانشرناه له فى المجلد الأول من السنة السادسة كما جاءنا من السيد محمد أحمد عمارة من تلا منوفيه مثل ذلك .

وعلمنا أن بعض المجلات الإسلاميه نشرت للأستاذ صاحب المقال المنشور قبل هذا التعقيب ما يفيد أن هذه الفتوى إنما تتفق مع التقاويم القديمة التى كان يراعى فى تحريرها مذهب أبى حنيفة أما والتقاويم اليوم يراعى فيها مذهب الأئمة الثلاثة والصاحبين فتوقت العشاء بمغيب الشفق الأحمر فلا محل للخلاف أو التعجل بصلاة العشاء .

ولما كان المقطوع به أن وقت العشاء يدخل بمغيب الشفق الأحمر عند الأئمة الثلاثة والصاحبين فإذا كانت التقاويم اليوم تحدد وقت العشاء على حساب مغيب الشفق الاحمر فليس هناك خلاف حقيقى بل الخلاف شكلى

وقد أرسلنا إلى السيد مدير مرصد حلوان نسأله عن هذه الحقيقة . وفى جوابه القول الفصل وسننشر الرد عند وروده إحقاقا للحق والله يقول الحق وهو يهدى السبيل .

جاد المولى سليمان

جاءنا من صاحب التوقيع السؤال الآتى :

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة صاحب الفضيلة مدير مجلة منبر الإسلام

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته « وبعـــد »

نرجو إجابتنا جوابا ســـديداً وافيا مدعما بالاسانيد عن السؤال الآتى بصفة عاجلة .

السؤال

« رجل يأمر بالصلاة من غير وضوء أو تيمم ولا مانع من استعمال الماء . ويقول إن الصلاة صحيحة وللمصلى نصف أجرها » .

عبد الرءوف محمد الخطيب ٢٦ ر ٨ ر ١٩٥٣
مدرس بمدرسة منية جناج الإبتدائية

الجواب

وجوابا على ذلك نقول وبالله التوفيق :

إن القول بجواز الصلاة من غير وضوء ولا تيمم وأمر الناس بذلك الخ ضلال . فالوضوء للصلاة شرط صحة لقول الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وامسحوا برءوسكم وأرجلكم إلى الكعبين وإن كنتم جنبا فاطهروا وإن كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه » والأمر للوجوب إذا سبق الحدث لما رواه البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : لاتقبل صلاة من أحدث حتى يتوضأ ومثله فى صحيح مسلم وهو حديث صريح فى أن الوضوء شرط فى قبول الصلاة وكذلك التيمم عند عدم وجود الماء أو عند عدم القدرة على استعماله .

والمراد بالقبول فى الحديث ما يرادف الصحة . وإذا انتفى القبول انتفت الصحة لأن القبول من لوازمها . والصلاة فى الحديث شاملة لصلاة العيدين وسائر النوافل وكذلك صلاة الجنازة عند الجمهور .

ومما تقدم يتبين أن القول (بأن الصلاة من غير وضوء صحيحة وللمصلى نصف أجرها) قول باطل والله أعلم . عبد الله المراغى — مدير المساجد

أعلام الإسلام

الشيخ الأمير الكبير

نسبه ونشأته

هو محمد بن احمد بن عبد القادر بن عبد العزيز بن محمد الصنباوى المالكى الأزهرى الشهير بالأمير الكبير أصله من المغرب واشتهر بالأمير لأن جده احمد كانت له إمرة فى صعيد مصر .

ولد رحمه الله بصنبو إحدى قرى مركز منفلوط مديرية أسيوط سنة ١١٥٤ﻫ وارتحل والده به إلى القاهرة وهو ابن تسع سنين وفى ذلك الحين كان قد حفظ القرآن الكريم فجوده على الشيخ المنير على طريقة الشاطبية والدرة حتى صار من القراء المجيدين .

طلبه للعلم وشيوخه ودروسه

لما قدم القاهره وكان قد ختم القرآن استشرف إلى المعرفة وحبب إليه طلب العلم فحضر دروسه على أعيان العلماء فى ذلك العصر واجتهد فى التحصيل حتى بز أقرانه وأجازه الشيخ العلوى فمهر فى التدريس وتصدر لإلقاء الدروس فى حياة شيوخه وانتفع بعلمه الغزير الكثير من الطلاب الذين كانوا يفدون إلى القاهرة طلبا للعلم والتفقه فى أمور دينهم .

رحلته ومكانته

رحل رحمه الله إلى تركيا وأقام فى استنبول زمنا كان فيه يلقى دروسا نافعة

حضرها أولئك الذين وصل إليهم ما للشيخ من رسوخ فى العلم ومنزلة سامية كعالم وفد إليهم من مصر ومن الأزهر الذى هو منارة العلم فى الشرق فى ذلك العهد

وذاع صيت الشيخ واشتهر فضله وشاع ذكره فى الآفاق خصوصا فى بلاد المغرب فان سلطانها كان يتصل به وتأتيه صلاته كل عام وكان لتلك الصلات أثرها فيما يمد به الشيخ المعوزين والمحتاجين من طلبة العلم كما كان له أثره فى تفرغ الشيخ لخدمة العلم والدين : من دروس وتأليف .

مؤلفـاته

للشيخ مؤلفات كثيرة وهى وإن كان أكثرها شروحا وحواشى على مؤلفات ألفت قبل عصر الشيخ إلا أنها لها قيمتها العلمية فقد سهلت العلم على طلابه وراغبى الاستزادة منه حتى أصبحت مرجعا معتبرا ومن أهم تلك المؤلفات : ـ

١ ـ اتحاف الأنس فى العلمية واسم الجنس (نحو) ٢ ـ حاشية على شرح الشيخ خالد على الأزهرية (نحو) ٣ ـ حاشية على شرح ابن هشام لمختصره (نحو) ٤ ـ حاشية على مغنى اللبيب (نحو) ٥ ـ حاشية على اتحـاف المريد شرح اللقانى (توحيد) ٦ ـ حاشية على شرح الملوى على السمرقندية فى الاستعارات (بلاغه) ٧ ـ حاشية ضوء الشموع على شرح المجموع (فقه مالك) ٨ ـ شرح المجموع (فقه مالك) ٩ ـ مناسك الأمير (فقه مالك) ١٠ ـ الاكليل على شرح مختصر خليل (فقه مالك)

وفاتـه

وقد توفى رحمه الله سنة ١٢٣٢ هـ بعد ذلك الجهاد العلمى المتواصل ودفن بجهة قايتباى بالقاهرة بين أسف عارفى فضله وحزنهم عليه رحمه الله .

عبد الله المراغى

مدير المساجد

على هامش الهجرة :

سراقة بن مالك

نسبه ونشأته :

هو سراقة بن مالك بن جعشم بن مالك بن عمرو بن تيم بن مدلج ، وكان سراقة أمير بنى مدلج ورئيسهم يرجعون إليه فى أمورهم وينزلون عند رأيه .

نشأ سراقة نشأة أمثاله من الشباب فى ذلك العصر البعيد الذى سبق البعثة النبوية . حياة فيها ترف وفيها نزق الشباب وفتوته ومجونه ، وعدم تقيده بما يوائم العقل ويتفق والخلق والسليم ، إذ قد كان أحد أولئك المؤتمرين الذين كان يعمر بهم مجلس أبي سفيان ليبيتوا للرسول صلى الله عليه وسلم ما يبيتون من شر ووقيعة للقضاء على ذلك الدين الجديد الذى أتى به محمد صلى الله عليه وسلم ، وسوى فيه بين الأمير والسوقة والغنى والفقير ، واعتبر فيه مقياس الفضيلة والكرامة ما يقدمه الإنسان فى الحياة من خير أو شر « إن أكرمكم عند الله أتقاكم » وألغى العصبية القبلية واعتبر أهل الإسلام كلهم سواسية كأسنان المشط ، لافضل لعربى على أعجمى إلا بالتقوى تلك المبادىء السامية. التى آذت القرشيين وفيهم أبو سفيان وصحبه ممن ألفوا السيادة والجبروت ، وظنوا أن لواء الرئاسة معقود لهم فى الحياة لا ينزل عنهم ولا يجدون لهم فيه منازعا يرومون لأنفسهم الصدر دون العالمين أو القبر . فهم وحدهم أهل الحكم وأهل الرياسة . وأما غيرهم فطغام يحتكم فيهم ويؤمر عليهم ويراد بهم ما يراد من سوء الحياة فلا ترتفع لهم هامة ولا يسمو منهم طرف .

تتبعه الرسول صلى الله عليه وسلم وإسلامه

اغتاظت قريش حين علمت أن النبى صلى الله عليه وسلم خرج من مكة رغم حصار بيته ومرقده فلم ينتبه له أحد ولم يجدوا فى مرقده فى الصباح إلا على ابن أبي طالب . غاظهم ذلك وسقط فى أيديهم ورأ أنهم قد ضلوا وطلبوا محمداً صلى الله عليه وسلم فى كل مكان ، والتمسوه فى كل طريق وتنطسوا أخباره فلم يصل إليهم منها شىء يمكنهم أن يتبعوه ويلحقوا به فلم يبق أمامهم إلا الإغراء

بالمال لمن يأتيهم به ولو قتيلا ، ونشط أناس وأبى أناس أمام ذاك الإغراء الشهى الذى يسيل له لعاب أى رجل من الأعراب لم يعرف من الحياة إلا وجهها القاتم المغبر . ويفد رجل من بنى مدلج على مجلس فيه سراقة ويقول « يا سراقة إنى رأيت آنفا أسودة بالساحل أراها محمداً وأصحابه . . ولـكن سراقة كان حريصاً على أن يكون له وحده تلك المائتان من الإبل التى جعلتها قريش لمن يرد محمداً وأبا بـكر إليها . فيعمى على من معه ويقول إنهم ليسوا بهم ولـكنك رأيت فلاناً وفلاناً انطلقوا أمامنا وأخذوا طريقهم صوب تلك الجهة ويمكث سراقة بعد ذلك ساعة فى المجلس على مضض يلوح أمامه شبح المائتين من الإبل فيما لو قدر له أن يرجع بمحمد وأبى بـكر وتمر بخياله تلك الحياة المقبلة التى سيحياها بعد أن يصبح فى غمضة عين يملك ذاك المال الوفير والخير العميم الذى يزيد من ثروته ويرفع من قدره ، ويجعل منه إنساناً اطمأن إلى الحياة الناعمة والرغد الوفير .

ويتسلل سراقة من مجلسه ويأمر جارية له أن تخرج بفرسه وتنتظره فى مكان ما حيث يلحقها . ويأخذ رمحه ويخرج من ظهر البيت خيفة أن يعرف الناس أين يقصد وخيفة أن يشاركه أحد فى المائتين من الإبل فقد كان حريصاً على أن تخلص له كلها . وتنطلق به فرسه تنهب الأرض نهبا . ويلتفت أبو بكر فيرى فارساً يطلبهم فيقول يا رسول الله هذا الطلب قد لحقنا ويطمئنه الرسول بقوله : « لا تحزن إن الله معنا » ويشتد دنو الفارس منهما فيقول أبو بكر هذا الطلب قد لحقنا « والله ما أبكى على نفسى ولـكنى أبكى عليك » ويدعو الرسول على الفارس بقوله « اللهم اكفناه بما شئت فساخت فرسه إلى بطنها فى أرض صلد ووثب عنها وتـكرر ذلك ثلاث مرات . وحينئذ يدرك سراقة المعجزة وينادى محمداً « إن هذا عملك فادع الله أن ينجينى مما أنا فيه » ويدعو له الرسول فينهض ويقول « أنا سراقة بن مالك بن جعشم انظرونى أكلمـكم فوالله لا أريبكم ولا يأتيكم منى شىء تـكرهونه » فيقول له أبو بكر « وماذا تبتغى ؟ . .

فيقول سراقة تكتب لى كتاباً يكون آية بينى وبينك .. ويكتب له أبو بكر كتاباً فى عظم أو خزفة ويلقيه إليه فيأخذه سراقة ويرجع إلى مكة ويعمى على الطالبين ويريب السائرين فلما استبان له أن محمدا ﷺ وصل إلى المدينة أخذ يقص على الناس ما رأى وما شاهد من أمر النبى ﷺ وما كان من جواده وكبوه المتكرر وينقل المستمعون تلك الأحاديث وما وشاها بها القاص من زينة القصص فأخاف ذلك رؤساء قريش وخشوا أن يكون هذا سبباً فى إسلام كثير منهم ، وترامت تلك الأحاديث إلى أبى جهل فيأخذه الفرق ويكتب إلى بنى مدلج محذرا لهم من الإصاخة إلى ما يقول سراقة فما هو إلا رجل سفيه أخذ على نفسه أن يضللكم حتى ينصر محمداً ويقول :

بنى مدلج إنى أخاف سفيهكم ... سراقة مستغد لنصر محمد
عليكم به ألا يفرق جمعكم ... فيصبح شتى بعد عز وسؤدد

ويسمع سراقة هذين البيتين فيرد على أبى جهل بهذه الأبيات :

أباحكم والله لو كنت شاهداً ... لأمر جوادى إذ تسوخ قوائمه
علمت ولم تشكك بأن محمداً ... رسول ببرهان فمن ذا يقاومه
عليك بكف القوم عنه فإننى ... أرى أمره يوما ستبدو معالمه
بأمر يود الناس فيه بأسرهم ... لو أن جميع الناس طراً يسالمه

وهى أبيات تدل على أن سراقة أدرك مستقبل الإسلام خلال ما رأى من موت محقق أعقبته نجاة لدعوة دعاها محمد ﷺ ورأى أن الإسلام سيظهر ويظهر حتى يعم الأرجاء ويمحق الأديان التى كانت منتشرة فى العالم حينئذ . وتأكد لديه أن محمدا ليس بكاهن ولا ساحر ولا شاعر كما زعم القرشيون وإنما هو رجل جاء لأمر وبأمر وهذا الأمر سيأخذ طريقه فى عناية وقوة لا تغلب حتى يكتب له النجاح والفلاح وإلا فلماذا ذلك الذى جرى له ولفرسه إن لم يكن لهذا المعنى كله . إن مسألة خروج سراقة بفرسه أمر يتكرر كثيراً ، وكثيراً ما سار فى هذا الطريق فلم تأخذ فرسه كبوه ولا اساخة بل كان يطوى الأرض فى سهولة ويسر ، وإن ماجرى لفرسه فى هذه المرة بالذات لأمر جدير بأن

ينظر إليه ويقدر وتستخلص منه العبرة ونستشف من خلاله تلك القوة التي تؤيد محمداً وتقطع دونه أسباب من يريدونه بسوء .

وإذا كان هذا ما استخلصه سراقة مما جرى له وما اطمأن إليه قلبه فلماذا لم يتابع محمداً فى دينه بل اكتفى أن يرد عنه طلب القرشيين ؟ ولماذا تأخر بإسلامه حتى عام فتح مكة بعد أن أخذت الدعوة طريقها إلى النفوس وتقبل العرب الدين الجديد قبولا حسناً بعد أن فتح عليهم وطنهم وقلوبهم . ذلك أنه فى وسط تلك المعمعة التى كان فيها محمد وصحبه شق إليهم سراقه الطريق ملوحاً بكتاب فى يده هو ذلك الكتاب الذى كتبه له محمد ﷺ آنفاً ويأخذه منه الرسول ويقول « هذا يوم وفاء وبر » ويعلن سراقة إسلامه . فلو أن سراقة لم يتأخر بإسلامه بل أسلم حين استبان له ما استبان من أمر محمد ﷺ لكان ثانى اثنين آثرا الحق على السلطان والاصاخة لنداء القلب وصوت العقل على الجاه ، إذ ما قيمة السلطان والجاه بجانب ما رآه الإنسان حقاً وعدلا فى الحياة .

مكانته العلمية :

بعد أن أسلم سراقة اتصل بالرسول ﷺ ولازمه وروى عنه أحاديث رواها عنه من الصحابة ابن عباس وجابر ومن التابعين سعيد بن المسيب وابنه محمد بن سراقة.

وقد انفرد صاحب أسد الغابة ، فقال : إن سراقة كان شاعراً . ولكننا لم نعثر فيما بين أيدينا من الكتب على أكثر من هذه الأبيات الأربعة التى رد فيها على أبى جهل، فلعل شاعرية سراقة كانت من ذلك النوع الضيق الذى لا يستجيب لكل ما تحس به النفس ، بل كانت تسعفه فقط عند ذلك الشعور الغامر والإحساس الفياض النفسى الذى ينتابه فى بعض الأحايين ، فكان من ذلك ما رآه عند ما تتبع محمداً عليه السلام ليرده .

وفاته :

وفى سنة أربع وعشرين من الهجرة توفى سراقة فى خلافة عثمان رضى الله عنهما .

محمد على عثمان

من العلماء بوزارة الأوقاف

اهمال اليتامى

قد أظلتنا ذكرى الهجرة المباركة الطيبة التى هى مورد الخير ومشرق الإصلاح العميم ، وهى حقيقة كلما راجعتنا أن تلفتنا إلى أنفسنا كى نحاسبها ونمتحن سلوكها ، وأن تحملنا على النظر فى أعمالنا لنتبين استقامتها على منهج الهجرة وفضائلها التى ورثتنا وألزمتنا اتباعها لنكون راشدين صالحين ، أو انحرافها عن ذلك النهج القويم إلى بدع ومضال ليس للناس فيها إلا الفتن المهلكة والشقاء المقيم. جوانب الهجرة شتى ومثلها العليا فوق أن تستقصى وكلها جدير بالعناية والالتزام والاستلهام .

وإنى ليلهمنى هذه الكلمة عن اليتامى قول الله تعالى لرسوله الكريم : «ألم يجدك يتيما فآوى » ان تأملى فى هذه العبرة لا ينقضى إذ كان يتمه صلى الله عليه وسلم معجزة وآية مبينة على اصطفاء الله له ورعايته وعنايته به ، فصانه عما يتعرض له الأيتام من ضيعة ورفعه عما يلم بهم من ضعيف الأخلاق ، بل جعله وقد ربى يتيما قدوة المربين والمصلحين وإمام العاملين فى كل عظيم كريم من رفيع الخلق وشريف السجايا . ذكرت ذلك فسبحت رب العالمين وصليت على خاتم النبيين ، ولكنى ذكرت يتامى أمته ومصيرهم بين قومهم ، هل يلقون من الرعاية والولاية الحادية الحازمة ، ما يدل على أننا وعينا تلك العبرة وأفدنا منها علماً عاملا وحكما فاصلا ورأياً رشيداً ، إنما يشاهد المرء من حال اليتامى ما يجعله إذا علم أن امرأ هلك لا يبكيه ولا يأسى على موته قدر ما يبكى ذريته الباقين

بعده ويأسى على مصيرهم الذى تتحكم فيه حياة عاصفة قاصفة قانونها الأنانانية وغايتها المنافع ، ولا يسأل فيها حميم حميما ، بل يود الطامع تحصيل مطمعه ولو بتحطيم أخيه ، وتمزيق فصيلته التى تؤويه ، فلا عاصم لأولئك الذرية الضعاف فى طوفان الأنانية والشهوات إلا رحمة الله .

ولقد كلف الله الأمة رعاية أيتامها وأوصى بهم أكبر وصية وأبقاها على الدهر قبساً من الذكر الحكيم ، يكشف مسئولية المسلمين عن كل يتيم ضاع ولم يلق من حسن قيامهم بأمره ما يجعله صالحاً فى نفسه نافعا لأمته . ما أكثر الآيات التى توصى باليتامى ، وما أبلغ فى الوصية أنك ترى ذلك مقرونا بتوحيد الله وعبادته ، فى كثير منها يقول الله تعالى : « وإذ أخذنا ميثاق بنى إسرائيل لا تعبدون إلا الله وبالوالدين إحسانا وذى القربى واليتامى والمساكين وقولوا للناس حسنا وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ثم توليتم إلا قليلا منكم وأنتم معرضون » .

وفى آية أخرى يقول جل شأنه : « واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا وبذى القربى واليتامى والمساكين والجار ذى القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت أيمانكم إن الله لا يحب من كان مختالا فخورا » . فنظام الآيتين دال على كمال العناية بما سلكه مع عبادة الله فى سلك واحد من الأوامر التى منها رعاية اليتيم .

وما زال القرآن معنياً باليتامى موصيا بهم حتى بين ما يجب اتباعه من الأحكام فى ولاية أموالهم ومتى تقام الولاية عليهم ومتى تنقضى عنهم قال تعالى : « وآتوا اليتامى أموالهم ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم إنه كان حوباً كبيرا » . (أى ذنباً كبيرا) وما ذلك إلا للتحذير من استغلال ضعفهم واغتيال أموالهم التى يجب صيانتها وإنفاقها فى إصلاح أمورهم وتثميرها لهم وتوفيرها عليهم ، ومن تدبير شأنهم والحرص على أن يكونوا راشدين فى تصرفهم ما يبينه قوله تعالى : وابتلوا اليتامى حتى إذا بلغوا النكاح

فإن آنستم منهم رشدا فادفعوا إليهم أموالهم ولا تأكلوها إسرافا وبدارا أن يكبروا ومن كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيراً فليأكل بالمعروف فإذا دفعتم إليهم أموالهم فأشهدوا عليهم وكفى بالله حسيبا » فليس يرضى الله للمسلمين إذاً أن يتركوا اليتامى يعبثون بأموالهم ويبذرونها ، بل يجب أن يختبروهم فى التصرف ويدربونهم تحت الرقابة الرشيدة على صالح السلوك وتصريف المال وإدارة الشئون حتى يطمئنوا إلى صلاح تصرفهم وراشد سيرتهم وحسن نظرهم ومع ذلك ينبه القرآن تنبيها متجدداً مؤكداً إلى ما يقطع سبيل المطامع حتى لا تكون الولاية عليهم ذريعة إلى هضم حقوقهم وأكل أموالهم .

وهل تجد فى التنفير من أكل هذه الأموال أبلغ من قوله تعالى « إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون فى بطونهم ناراً وسيصلون سعيراً » ، إن ذلك ليردع كل شهوة ويقطع كل مطمع ، ومن ذا الذى يشتهى أن يأكل النار ويصلى السعير ؟ وفى تفسير هذه الآية الكريمة :

جاء عن عبيد الله بن جعفر أنه قال: من أكل مال اليتيم فإنه يؤخذ بمشفره يوم القيامة ، فيملأ فمه جمراً : ويقال له : كل ما أكلته فى الدنيا ثم يدخل للسعير الكبرى . وأخرج ابن جرير وابن أبى حاتم عن أبى سعيد الخدرى قال حدثنى النبى صلى الله عليه وسلم عن ليلة أسرى بى . قال نظرت ، فإذا أنا بقوم لهم مشافر كمشافر الإبل ، وقد وكل بهم من يأخذ بمشافرهم ،ثم يجعل فى أفواههم صخراً من نار فيقذف فى أجوافهم حتى يخرج من أسافلهم ، ولهم خوار وصراخ. فقلت يا جبريل من هؤلاء ؟ قال الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما . وقد خاف الصحابة رضى الله عنهم هذا الوعيد الشديد، وحذروا هذا العذاب العتيد فتوقوا مخالطة اليتامى واجتنبوهم فى الطعام والشراب ، وفصلوا بينهم وبين من فى ولايتهم من الأيتام فى جميع شئونهم ؛ فكان فى ذلك من الاضرار بالأيتام ، ما يناقض الغرض الذى توخاه القرآن ، إذ أوصى بهم وحذر من أكل أموالهم ، فنزل قوله تعالى : « ويسألونك عن اليتامى قل إصلاح لهم خير وإن تخالطوهم

فإخوانكم والله يعلم المفسد من المصلح ولو شاء الله لأعنتكم إن الله عزيز حكيم » . أخرج أبو داود والنسائى وابن جرير وجماعة عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال لما أنزل الله تعالى « ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتى هى أحسن » و « إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما » الآية انطلق من كان عنده يتيم فعزل طعامه من طعامه ، وشرابه من شرابه ، فجعل يفضل له الشيء من طعامه ، فيحبس له حتى يأكله أو يفسد فيرمى به ، فاشتد ذلك عليهم ، فذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فنزل قوله تعالى : « ويسألونك عن اليتامى » والمعنى يسألونك عن القيام بأمر اليتامى أو التصرف فى أموالهم (قل إصلاح لهم خير) أى مداخلتهم مداخله يترتب عليها إصلاحهم أو إصلاح أموالهم بالتنمية والحفظ خير من مجانبتهم « وإن تخالطوهم فإخوانكم » والمقصود الحث على المخالطة المشروطة بالإصلاح مطلقا أى إن تخالطوهم فى الطعام والشراب والمسكن والمصاهرة تؤدوا اللائق بكم لأنهم إخوانكم أى فى الدين . وأخرج عبد بن حميد عن ابن عباس رضى الله عنهما ، المخالطة أن يأكل فى قصعتك وتأكل فى قصعته ، ويأكل من تمرك وتأكل من تمره « والله يعلم المفسد من المصلح » فيجازى كلا حسب فعله أو نيته .

ولقد تعلم أن الناس أقاموا على ذوى المال من الأيتام أوصياء وكلوا بهم طوائف المحاسبين والمراقبين وانهم أقاموا لغير ذوى الأموال منهم مدارس ومعاهد تؤويهم وتكفلهم وتوكل بتربيتهم زمرا من المعلمين والمربين وفى هذا عناية بهم مشكورة ورعاية لهم محمودة مأجورة غير أن ذلك كله لا يستقيم على سواء السبيل ولا ينهج النهج الذى يرضى الله والرسول إلا إذا هيمن على كل قائم بشيء من أمور هؤلاء الضعفاء ضمير حى ودين قوى يشعر صاحبه خوف الله ويذكره حسابه ويخوفه عقابه ويمثل لعينه فى أشخاص من يتولاهم من الأيتام بناته وبنيه الذين أفردوا منه وأسلموا لصروف الحياة من بعده ووكلت أمورهم عاجزين مستضعفين إلى غيره فما أحب أن يصنع غيره إلى ذريته من

معروف وعناية فليصنعه إلى من يلى شؤونهم من أبناء المسلمين « وليخش الدين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا » عظة قرآنية ما أبلغها وحكمة سماوية ما أوعظها لمن يحنو على بنيه ويوقيهم بنفسه كل ما يؤذيهم وحوادث الدهر رائحة غادية لم يتخذ أحد عند الله عهدا أن يبسط له فى الأجل ويبلغه ما يصبو إليه من عزيز الأمل فى تنشئة ولده وتمكينهم من المستقبل الزاهر السعيد، والذى يتخيل حبات قلبه وأفلاذ كبده محتاجين إلى عطف سواه موكولين إلى رحمة غيره لابد أن يفيض قلبه حنانا وحبا لمن يحتاجون إلى عنايته وحدبه من الأيتام المستضعفين. إن هذا التصور الصحيح لواقع الحياة وتقلباتها وغيرها ليصقل نفسه ويؤدبها بأدب القرآن الذى يلزمه أن يؤدى إلى الجماعة حق التكافل الإسلامى وواجب التضامن الإنسانى الذى لا غنى لأحد عنه ولا استقامة لحياته من دونه .

على أن كفالة اليتيم والرحمة به لا تعنى تحويله من رذيلة الجور والاجحاف إلى مفسدة التدليل والإتلاف فكم من أطفال فسدوا وضلوا فى الحياة سبيلا لأنهم فقدوا التربية الحازمة والعطف الحكيم لأن القائمين بأمرهم ظنوا أن كل ما يحتاج اليه الصغير إنما هو المسارعة فى تلبية مطالبه وتحقيق أهوائه ولعل الأيتام أشد الأطفال تعرضا لهذا الخطر الذى يأتيهم من قبل انفراد أمهاتهم بالهيمنة على تربيتهم ، والأم قلب لا عقل معه وعاطفة لا رأى لها ولا قانون ولا سيما أولئك اللاتى فاتهن التعليم وأخطأهن الأعداد الصالح للأمومة ومن أجل ذلك تزداد مشكلة الأيتام تعقدا وتتطلب مزيدا من التدبير لها وتقدير الوسائل التى تدرأ عنهم ألوان ما يتهددهم من الفساد .

اليتيم من الناس من مات أبوه بتعريف اللغة والفقه والقانون وهو الذى ينظر اليه ويحفل به المعنيون بأمر لليتامى حتى ترى المدارس التى ترعى الأيتام وتؤديهم وتعلمهم تؤثر بقبولها يتيم الأب ولهذا كله مبرر واعتبار صحيح إلى حد كبير وهو أن الأب كاسب الأسرة وأن الكسب هو أساس الحياة ،

ولكن إذا تعلق الأمر بالنشء وتربيتهم وجب أن يتغير هذا النظر وأن تعلم أن فقد الأب وان كان شديد الخطر والضرر على حياة الأسرة ليس هو وحده الذى يؤذى الناشئة ويفسد تربيتهم . أن فقد الأم له كذلك خطره وضرره البالغ الخطير فى تربية الأطفال وتعرضهم الى كل سوء لقد يكون الوالد غنيا قادرا على حياطة أطفاله بما ينعم حياتهم ويرفههم ولكن ذلك كله لا يمكنه من تنشئتهم تنشئة صالحة وتربيتهم تربية طيبة لسبب واحد وهو فقد أمهم التى لا ينوب عنها أحد ولا يغنى عن فقدها الوالد وقد تغنى هى عنه إذا كانت صالحة ووفر فى يدها المال ومن ذلك كله أريد أن أدعو إلى رعاية كل يتيم من غير تفرقة بين فقد والدة أو والد وأن تكون هذه الرعاية كفاء لما أصابه من حرمان الكافل الطبيعى الذى يرحمه ويربيه ويسدده ويزكيه حتى يكون قرة عينه وريحانه نفسه .

وما لنا لا نتدبر قوله تعالى : « كلا بل لا تكرمون اليتيم » فالتعبير بالإكرام يلفتنا الى أن تسلك فى تربيته وتوجيهه كل مايرقى به ويرفع منزلته حتى يكون كريما على نفسه وقومه فليس الغرض اذا الاقتصار على اطعامه وكسوته فهذه حاجة الحى ولكن القرآن لا يرضى لنا الا أن نوفية حاجة الإنسان بجسمه وعقله وروحه وهذا الذى تقضى به الأمة حق أيتامها متبعة دينها وهدى كتاب ربها الذى عنى بالأيتام العناية التى قبست لك منها وحدثتك عنها والتى ان التزمناها وترسمنا هداها ظفرنا من أيتامنا بطائفة من الصالحين النافعين الأبرار ومن يدرى عسى أن يكون منهم نابغة عصره ومفخرة أمته . ولا يسعنى أن أودع قرائى فى هذه الكلمة قبل أن أتلو ما أحب أن نظل له ذاكرين كى يلين من قلوبنا وينبهنا دائما الى واجبنا « أرأيت الذى يكذب بالدين . فذلك الذى يدع اليتيم . ولا يحض على طعام المسكين . فويل للمصلين . الذين هم عن صلاتهم ساهون الذين هم يراءون ويمنعون الماعون » صدق الله العظيم .

عبد الفتاح سالم
مدرس بمعهد القاهرة الثانوى

الخطابة

دعوة الى الوحدة والتضحية

وحث على الدفاع فى سبيل الأوطان

« الخطبة التى أذاعها فضيلة الأستاذ الشيخ عبدالله المراغى مدير المساجد عقب صلاة عيد الاضحى المبارك ـ ١٠ من ذى الحجة سنة ١٣٧٢ هـ ـ بميدان الجمهورية »

الله أكبر تسعاً . .

الله أكبر ما عنت الوجوه لكبريائه وخرت الجباه سجداً لإحسانه ونعمائه له الحمد وهو الحكيم الخبير المدبر لما فى الكون من مخلوقات ، الميسر لمن شاء سبيل المكرمات وهو القاهر فوق عباده وهو على كل شىء قدير . ونصلى ونسلم على خاتم رسلك من أرسلته هادياً إلى طريق الخير وداعياً إلى سبيل الرشد ، مشكاة أضاءت الظلمات ، وسيفاً للحق يناصره ويدافع عنه ويفتديه بالنفس والمال والولد ناهياً عن التكبر والاستعلاء داعياً إلى المساواة وترك التفاخر بالأنساب والتكاثر بالأموال والأولاد قائلا : (الناس سواسية كأسنان المشط لا فضل لعربى على عجمى ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى كلكم لآدم وآدم من تراب) . صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين .

الله أكبر ما اقتدى المسلمون فى التضحية والفداء بأبيهم إبراهيم فقد قص القرآن

الكريم هذا الحادث العظيم ودعاء الخليل إبراهيم إذ يقول رب العالمين : « رب هب لى من الصالحين فبشرناه بغلام حليم فلما بلغ معه السعى قال يا بنى إنى أرى فى المنام أنى أذبحك فانظر ما ذا ترى قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدنى إن شاء الله من الصابرين فلما أسلما وتله للجبين وناديناه أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا إنا كذلك نجزى المحسنين إن هذا لهو البلاء المبين وفديناه بذبح عظيم » .

أيها المسلمون ـ ليس المقصود من الفداء قرباناً يذبح بل هو روح فى سبيل الله تزهق وما الفداء ذبيحاً إلى مصرعة يقاد بل قلب إلى طريق الحق ينقاد والله تعالى يقول : « لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم كذلك سخرها لكم لتكبروا الله على ما هداكم وبشر المحسنين » فما القرابين الدم المراق وإنما هى الفداء فى طاعة الخلاق من نفوس لا تبالى فى طاعه الرحمن بالتضحية بالولد والوالد ، ولقد بارك الله على إبراهيم فى الآخرين وقد استجاب الذبيح إسماعيل لنداء أبيه إبراهيم فتداركه لطف رب العالمين بالفداء العظيم فكان ذلك عبرة وعظة للمضحين والبـــاذلين ولمن تجردوا من الأنانية وحب الذات وتحلوا بالإيثار وكانوا عوناً للمساكين وقوة للمستضعفين ، مساهمة فى بناء مجتمع قوى متين ترفرف عليه الكرامة وتعلوه العزة والمهابة .

وأفضل ميدان للتضحية وأشرف مكان يضحى فيه بالدماء دماء الأنفس وتبذل فيه الأموال ميدان المحافظة على الدين والعقيدة والوطن ، والقرآن الكريم يبين لنا فضل الجهاد وعقاب المتخلف عنه مع القدرة عليه فيقول جل وعلا : : « يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون فى سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون ، يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الأنهار ومساكن طيبة فى جنات عدن ذلك الفوز العظيم وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين » .

أيها المؤمنين ـ ليست الحياة لهواً ولعبا وتكاسلا وخمولا ومهانة وذلة واستكانة وخضوعاً ونفاقا وتزلفا ، وإنما الحياة جهاد وعمل وكفاح ونصب وجلاد ومثابرة وحرية وكرامة وعزة وسيادة ، ولا تنال الحياة الحرة بالأمانى والآمال وإنما تنال بالتضحية وبذل النفس والولد والمال ، ولقد أرشدكم القرآن الكريم إلى السراج الذى يضىء لكم طريق الحياة ويشرع سبيل النجاة ويجعلكم من الذلة والمهانة بمنجاة إذ يقول : « لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا » . ولقد وضع لكم الرسول الكريم قواعد الحياة الصحيحة ، وأسس الحرية والكرامة والإخاء والمساواة ، وأوضح لكم طريق الجهاد فى سبيل الله والوطن ، وأصدق مرآة ترون فيها ذلك أقواله وأفعاله فى هذا السبيل ، فأفعاله التى سار عليها دفاعاً عن دينه ووطنه وعقيدته وحريته : تنظيم الجيوش وإعداد وسائل الدفاع ، وخروجه إلى ميدان الحرب مقاتلا مناضلا لا يبالى بالأخطار ولا يخشى الردى ، وينشرح صدره حين يسيل دمه الزكى الطاهر فداء لدينه وحريته ووطنه ، ولا يضيره أن تدخل حلقتا المغفر فى وجنتيه وأن تكسر رباعيته وأسنانه ، فكل مشقة وكل نصب وتعب فى سبيل الله راحة وطمأنينة وقربة إلى الله فى نظر رسول الله ، وهاكم أمثلة من أعمال الصحابة فى الجهاد فقد سمعوه يحرض يوماً على القتال فى إحدى المواقع قائلا : « والذى نفس محمد بيده لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابراً محتسباً مقبلا غير مدبر إلا أدخله الله الجنة » . فيتقدم عمير بن الحمام وفى يده تمرات يأكلهن فيقول بخ . بخ . فما بينى وبين أن أدخل الجنة إلا أن يقتلنى هؤلاء ثم يرمى التمرات من يده ويقذف بنفسه فى المعركة ويقاتل حتى يقتل .

ولقد كان الصحابة يلبون مؤذن الجهاد ويذهبون إلى الرسول صلى الله عليه

وسلم ليحملهم إلى مواقع القتال ، فكانت وسائل النقل من كثرتهم لا تسعفه ولا تعينه على حمل جميع المجاهدين فيعتذر إليهم الرسول صلى الله عليه وسلم فتفيض عيونهم من الدمع حزنا ألا يدركوا الشهادة فى سبيل الله فيرضيهم الرسول ويطمئنهم على أن لهم من الأجر بقدر نيتهم وليس عليهم من ضير فى التخلف، ويقص علينا القرآن الكريم هذه الأمثلة الرائعة فيقول : « ولا على الذين إذا ما آتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزناً ألا يجدوا ما ينفقون » .

ولقد توعد القرآن الكريم بأشد الوعيد من استطاعوا الجهاد فى سبيل الله وقعدوا عن مصاحبة رسول الله بقوله : « إلا تنفروا يعذبكم عذاباً أليماً ويستبدل قوماً غيركم ولا تضروه شيئاً والله على كل شىء قدير » وقوله تعالى : « قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم واخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله فتربصوا حتى يأتى الله بأمره والله لا يهدى القوم الفاسقين » . وليس الخروج إلى ميدان الجهاد ناقصاً للأعمار ولا معجلا للآجال ، فالله تعالى يقول : « أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم فى بروج مشيدة » . وصدق من قال : (احرص على الموت توهب لك الحياة) .

أيها المواطنون : أصبح من حق الوطن على أهله أن تعلو كلمة الاعتصام بحبل الله فيما بينهم فى هذه الفترة من حياة الوطن ، وقد التقت بفضل الله أيدى العاملين على النهوض به وإسعاده فواجب المواطنين أن يفسحوا الطريق أمام قادة الأمة ، وأن يسدوا منافذ الأراجيف والشائعات مدرعين بالثبات والطمأنينة والثقة بالله عز وجل حتى يهيئوا للقادة جواً صالحاً تجنى الأمة فى ظلاله أطيب الثمرات .

فاتقوا الله أيها المسلمون واجعلوا من عهدكم هذا موسم اصلاح ونجاة وفلاح واعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون .

روى أبو هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (تضمن الله لمن خرج فى سبيله لا يخرجه إلا جهاداً فى سبيلى وإيمانا بى وتصديقا برسلى فهو على ضامن أن أدخله الجنة أو أرجعه إلى مسكنه الذى خرج منه نائلا ما نال من أجر أو غنيمة ، والذى نفس محمد بيده ما من كلم يكلم فى سبيل الله إلا جاء يوم القيامة كهيئته حين كلم .لونه لون دم وريحه مسك،والذى نفس محمد بيده لو لا أن أشق على المسلمين ما قعدت خلاف سرية تغزو فى سبيل الله أبدا والذى نفسى بيده لوددت أنى أقتل فى سبيل الله فأحيا ثم أقتل فأحيا ثم أقتل فأحيا ثم أقتل) .

الخطبة الثانيـــــة

الله أكبر سبعا .

الله أكبر ما أقبل العيد يحمل البشرى وينشر السلام بين المسلمين .

الله أكبر ما التقت النفوس على الصفاء والوئام وجعل المسلمون من هذه الأيام المباركة أسبابا تؤلف بين قلوبهم وتوحد صفوفهم وتجعلهم أشداء على أعدائهم رحماء فيما بينهم .

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه الذين جاهدوا فى الله حق جهاده وضربوا للبشرية فى التضحية أروع الأمثال .

أيها المواطنون - إن من فضل الله علينا فى هذا العيد أن تسود بيننا حكاما ومحكومين الألفة والمودة والأخاء والمساواة فجمعنا هذا الصعيد الطيب متقربين إلى الله بالصلاة والدعاء نتبادل التهنئة بالعيد السعيد الذى أعلى كلمة الأمة ورفع منار الحق على أيدى أبنائها البررة وقادتها المخلصين وإن علينا أن نفتتح بهذا العيد صفحات جديدة للعمل والتضحية أخذا من عظات هذا العيد وعبره فنشد العزائم ونقوى الهمم لننهض ببلادنا مع الناهضين بها من قادتها حتى نتبوأ من المجد مكانا عليا وإن دينكم الذى جمعكم فى هذه الساعة على كلمة الله لذكر الله ليحتم عليكم أن تبذلوا كل غال فى سبيل الأخذ بيد أمتكم المصرية كما يحتم عليكم أن تأخذوا بيد إخوانكم العرب والمسلمين حتى نسترد من الغرب مجدنا ونرد عن بلادنا عدوان المعتدين (ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز) وإن خير ما تتعبدون به وتتقربون به إلى الله بذل النفس والمال واستعذاب الآلام وتحمل المشاق والصبر والمصابرة فى تحقيق هذه الغايات .

اللهم اكفنا مكايد الشيطان واملأ قلوبنا بالإحسان واغفر لنا وللمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات .

اللهم إنا نسألك أن تعز الإسلام وتنصر المسلمين وأن تعلى بفضلك كلمة الحق والدين وأن تشمل بعنايتك ورعايتك رئيس جمهورية مصر اللواء أركان الحرب محمد نجيب وأن تمد ولاة الأمور بالتوفيق والتسديد وتهيء لجيش الوادى أسباب النصر والتأييد إنك نعم المولى ونعم النصير .

غفر الله لى ولكم وللمسلمين وهيأ لنا من أمرنا رشدا وأمدنا بعونه وقوته

من وحى الهجرة ..

أهل علينا هلال الهجرة النبوية الشريفة على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التسليم فوقفنا خاشعين لجلالها . مرددين لمآثرها ، مكبرين لما أحدثته فى هذا العالم من تحول وانتقال ، خطابه إلى التقدم ، وسما به إلى غاية بعيدة ، وأفق مرموق .. ووددنا لو كان المسلمون ينتفعون بهذا التاريخ الخالد ، وتلك الذكريات العظيمة ، وبخاصة فى هذا الوقت الذى تعوزهم فيه المثل ، وتنقصهم الأهداف ، ويرون أنفسهم فى حاجة شديدة إلى بصيص من النور ليضىء لهم الطريق المشتبه ، والمعالم الملتوية المسالك ، لكى يلتفوا حول غرض واحد ، ويقصدوا إلى مرمى غير موزع .. فقد ضاق بمحمد عليه الصلاة والسلام الاحتمال فلم يعد هو ومن حوله يستطيعون البقاء بمكة يتعرضون لأذى قريش الذى بالغت فيه ، وافتنت فى ألوانه ، وتنوعت فى أسلحته الرخيصة ، وأساليبه الحقيرة ، وخرج لا يدرى من أمره شيئا تنتقل به السبل ، وتتشعب أمامه الوديان ، وتفتح الدنيا له ذراعيها ، ويده صفر من المال ، ورحله خلو من الزاد ، لا يعول إلا على رحمة الله التى وسعت كل شىء ، ولا يعتمد إلا على إيمانه القوى المتين .. وما كان يدرى أنه وقد طارده أهله ، وناوأه قومه ، وضاق به وطنه ، ولفظته عشيرته ، سيجد من يأوى إليه من الناس ، أو يهتم له من الآدميين .. وهو يعلم أن المهمة الملقاة على عاتقه شاقة ، والمسئولية

المنوطة به ليست هينة ، والرسالة التى حمله الله إياها تحتاج إلى قوة تحميها ، وسلطان يؤازرها ، وبأس شديد يصونها من عبث الأشرار ، وعدوان الحمق .. وإذا كان هذا هو مصيره ومصير دعوته التي يعلنها ، وكتابه الذى ينزل به الوحى من السماء ، فلا كان الإصلاح ، ولا عاش المصلحون ، ولا سيما بين أناس ينفرون من الخير ، ويغضبون من الحق ، ويزيغون عن العدالة ، ويشيحون بوجوههم عن الضياء ، ويقولون لمن يحملون بأيديهم المشاعل إنهم يبتغون عرض الحياة الدنيا . . ولكن النفوس الكبيرة ، والهمم العالية ، والعزائم القوية ، لا يقف لها ضعفها ، ولا يحول بينها وبين الوصول إلى غايتها ما تصادفه من هوان ، أو تلاقيه من عنت ، أو تتجرعه من مرارة ، وتمر بها تلك الشـــدائد كما تمر سحابة الصيف ، ثم تعود إلى محاولة النجاح ، ومزاولة النصر ، ومعالجة الاستمرار فى الخطة ، متعظة بالماضى ، متأثرة بالأحداث ، منتفعة بالوقت .

وقد رأينا أنه صلى الله عليه وسلم لم يشغله ما لاقى فى المدينة من جوار كريم ، ومعاشرة طيبة ، وأخوة خالصة ، وتنافس الأوس والخزرج هنالك على الترامى بين يديه ، والسبق إلى الانضواء تحت رايته ، والأخذ بناصره ، والالتفاف حوله ، أن ينظم صفوفه ، ويقوى عدته ، ويستعد لمواجهة الخطوب . . على أنه لم يكد يستقر به المقام فى هذا الموطن الجديد ، ويهنأ بذلك الفوز الذى قيضه الله له فى دار الغربة حتى بدأ المنافقون ينصبون له سهامهم المسمومة ، ويعملون له عمل العدو الكاشح ، وكان فى خلال ذلك كله ، يروضهم رياضة الوحوش ، ويعالجهم معالجة المريض ، وما زال يريهم من أدبه وحلمه ، وعفوه وصفحه ، وسياسته البعيدة وحكمته النادرة ، ما لو أحس به الجماد لآمن به ، وأذعن لرأيه ، ولكنهم ظلوا معه على مراوغة الثعالب ،

وغدر الذئاب ، وفضح الله نواياهم ، وكشف أستارهم « وما ربك بغافل عما يعمل الظالمون » .

وعاد النبي إلى مكة لا ليقاتل عدواً ، ولا ليكبت خصما ، ولا ليرغم قوما أكرهوه على الخروج من داره . . ولكن ليريهم كيف يكون العفو عند المقدرة ، والحلم عندما تفيض كأس الحمق الطائشين ، وقد تخوفوا قدومه ، وفزعوا من قفوله ، فلم يرعهم إلا وقد قال لهم اذهبوا فأنتم الطلقاء .

وحديث الهجرة يعيد إلى الأذهان صحائف بيضاء من صحف الخير الذى كان فى المسلمين ، فإن الناس كانوا يتحدثون عن المهاجرين والأنصار حديثاً كله مجد وشرف ... والنبى صلى الله عليه وسلم بعد أن اتسع صدر أهل المدينة لأهل مكة هذا الاتساع وآثروهم على أنفسهم هذا الإيثار ، وأغدقوا عليهم من البر والمعروف هذا الإغداق ، كان دائماً أبداً يوصى بهم ، ويغرى بمحبتهم ، ويقول : « لا يحبهم إلا مؤمن » ولم يكن ذلك يثير المهاجرين ، أو يكدر منهم الصفو ، لأنهم يعلمون أنهم جديرون بهذا الفضل بعد الذى قدموه من جميل ، وأسدوه من إحسان . . . وما كان المسلم من هؤلاء ولا من هؤلاء يحقد على المسلم ، أو يكره أن تصيبه نعمة ، وما كان ينفس عليه ، إلا أن يزيد عنه فى الطاعة ، أو تدنو منزلته من الله ، وكان عنوان الفضل عندهم الجهاد للدين ، والإعلان لكلمة الله . . . فإذا ميزوا واحداً منهم قالوا أدرك المواقع ، وكان ممن شهدوا بدراً .

وليست الهجرة من مكة إلى المدينة أول هجرة هاجرها المسلمون ، وأول عنت صادفهم فى سبيل ذلك المبدأ الذى كانوا يكدحون له ، ويناضون من أجله ، فقد هاجروا قبل ذلك مرتين الى الحبشة وأكرم النجاشي وفادتهم

وأحسن جوارهم ، ولاقوا عنده من الجميل والمعروف ما جعلهم يطمئنون إليه ، ويستريحون الى معاشرته ، ولما رأى كيف هذبهم الاسلام ، وغرس فيهم من رفيع الخلال ، وطيب الخصال ، تأثر بهم وأعلن أنه على دينهم ، يؤمن بكتابهم ويصدق رسولهم ، ومضى على آثاره كثيرون ممن حوله من الأحباش ، وسبب هذا أن الحبشة كانت تدين بالنصرانية وهى من العقائد التى كانت أقرب إلى الإسلام ، وأكثر شبهاً به فى الأصول والمبادىء ، ولذلك نوه القرآن بالنصارى بعد ما كان من صنيعهم مع المسلمين هنالك « لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون . وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين »

وهكذا كانت حياة محمد صلى الله عليه وسلم وحياة أصحابه ، كانت أذى متلاحقاً وكيداً دائماً ـ وعراقيل وأشوا كا يقيمها العدو لهم ، وينصبها الخصوم فى طريقهم وكلما اشتد الخطب عليه وعليهم سخر من الحوادث ، وهانت عليه المتاعب ، وزاده ذلك إيمانا بأنه على الحق وغيره على الباطل . .

وقد سألته عائشة رضى الله عنها يوما ما قائلة له حدثنى يارسول عن أشد ما لقيته فى سبيل الدعوة إلى الله ؟ فقال لها : لقد لقيت من قومك ما لقيت وكان أشد ما لقيته من عبد ياليل بن كلال ، بالطائف إذ خرجت إليهم بعد ما ضاقت بى السبل ، وندت منى الحيل ، ولم أجد من قريش إلا الصد والإعراض ، والتكذيب والجحود ، والإيلام والتعذيب ، والسخرية والاستهزاء ، والنفور والبغض . . وكنت أظن أنى أجد فى الطائف صدوراً رحبة ، وعقولا خصبة ، وقلوباً رحيمة ، وأفئدة مستعدة ، وضمائر متيقظة ،

فلم يرعنى إلا وقد أغروا بى صبيانهم وسفهاءهم ،يرموننى بالطوب ، ويحصبوننى بالحجارة ، ففررت من وجوههم وأنا أقول : « اللهم إليك أشكو ضعفى وانكسارى وهوانى على الناس ، اللهم إن لم يكن بك على غضب فلا أبالى ، وما زلت أتابع المسير ، وأواصل الخطا ، فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب على صوت جبريل ينادينى إن الله قد سمع رد قومك عليك ، وعرف إيذاءهم لك ، وهذا أخى ملك الجبال إن شئت أن يطبق عليهم الأخشبين - جبلان بمكة - فعل ما تأمره ، فقلت لا يا أخى جبريل ولكنى أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبده وحده لا يشرك به شيئاً » .

هذه هى بعض الذكريات التى توحى بها هجرة سيد العالمين . . . جهاد دائب ، ومصائب متوالية . . ومشاق لا تنقطع ، ومتاعب تتلوها متاعب . . . وهكذا يلاقى أصحاب المبادىء القويمة ، والمذاهب السليمة ، الذين عاهدوا الله سبحانه وتعالى على أن يعيشوا فى هذه الدنيا مشاعل تحترق لتنير للناس سبيل الهداية والإصلاح يستسيغون المر فى هذه الحياة ، وحسبهم الجزاء من الله فى الدار الآخرة « يوم لا يخزى الله النبى والذين آمنوا معه » .

إبراهيم على أبو الخشب
المدرس بكلية الشريعة

الشعر والشعراء ...

وموقف الرسول منهما

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم ، قال الله تعالى وهو أصدق القائلين : « الرحمن علم القرآن خلق الإنسان علمه البيان » . والصلاة والسلام على رسول الله القائل : (إن من البيان لسحرا وإن من الشعر لحكمة) . وبعد فإن من أحكم الكلمات المأثورة عن عمر بن الخطاب قوله رضى الله عنه : (الشعر ديوان العرب) . وفى الحق أن الأمة العربية البادية لم يكن لها من سبيل إلى تسجيل مفاخرها والتنويه بمآثرها وحفظ ثمرات عقولها إلا الشعر الذى تقذفه ألسنتهم المبينة ويتلقاه رواتهم الحافظون فتتناقله الأمة وتتناشده فى أسواقها ، فقد كانت لهم أسواق أدبية تقيمها كل عام (ذو المجاز وعكاظ ومجنة) تقصدها القبائل تحف بخطبائها وشعرائها فيخطب الخطباء وينشد الشعراء ما أعدوه لموسمهم الأدبى من روائع النظم وبدائع القصيد مما يرفع مكانة قبيلتهم ويعلى شأنها بين القبائل ويزيل عنها هجاء الهاجى وقدح القادح ، فقد عيرت قبيلة باسمها (أنف الناقة) فلم يزل ذلك وصمة عار لها حتى قام شاعر بعكاظ يدافع عنهم فأنشد :

قوم هم الأنف والأذناب غيرهم ومن يسوى بأنف الناقة الذنبا

فلم يعد ذلك اللقب مثار تندر وهجاء بل أصبح موضعاً للفخر والغبطة . غير أنه فى آخر العصر الجاهلى قد غشيت الشعر سحابة سوداء من تكسب الشعراء به وهوان أقدارهم على أنفسهم وعلى الناس ، ومن أجل ذلك نزه الله القرآن عن كونه شعراً والرسول عن كونه شاعراً ، فقال تعالى : « وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون » . وقال : « وما علمناه الشعر وما ينبغى له إن هو إلا ذكر وقرآن مبين » . ونعى عليهم مسلكهم فى امتهان الشعر وتسخيره

لاقتناص المال واتخاذه وسيلة للكذب والتملق وتجريح الأعراض فقال تعالى : «والشعراء يتبعهم الغاوون ، ألم تر أنهم فى كل واد يهيمون وأنهم يقولون ما لا يفعلون إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ما ظلموا وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون » . فقد أبان ذلك الاستثناء ان علة ذم الشعراء فى هذه الآية لم تأتهم من قبل الشعر ولكنها علة نفسية أخلاقية فى مسلك الشعراء أنفسهم ، وأن الشعر إذا رجع إلى طبيعته واتجه وجهة الحق والخير ونأى عن الأغراض الخسيسة التى انحدر به إليها أولئك الشعراء الغاوون عاد سيرته الأولى من التكريم ونزل مكانته الرفيعة فى حكم الإسلام وتقدير الدين .

فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يهش للشعر وسماعه ويكرم الشعراء تكريماً له قيمته التى لا تقدر لأنه صادر ممن اختاره الله ليكون أميناً لوحيه وحاملا لرسالته ومعلماً لأمة كتب لها أن تكون خير أمة أخرجت للناس فلا عجب أن كان تكريمه صلى الله عليه وسلم للشعراء يحمل من آى التقدير والتشجيع ما يجعلهم يفخرون به على تعاقب القرون ما داموا لم يسلكوا طريق الغواية التى نفر منها القرآن .

ومن الشعراء الذين نالهم التكريم النبوى (حاتم الطائى) الذى كان يحث فى شعره على الجود ومكارم الأخلاق مثل قوله :

أماوى ان يصبح صداى بقفرة ... من الأرض لا ماء لدى ولا خمر
ترى أن ما أهلكت لم يك ضرنى ... وإن يدى مما بخلت به صفر
وقد يعلم الأقوام لو أن حاتماً ... أراد ثراء المال كان له وفر
أماوى . إن المال غاد ورائح ... ويبقى من المال الأحاديث والشكر

وقد أهله شعره بعد موته لينال فضل رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى بره وكرمه فى ابنته حين وفدت عليه بين سبايا طيء ، فقالت يا محمد إن

رأيت أن تخلى عنى ولا تشمت بى أحياء العرب فإنى ابنة سيد قومى وإن أبى كان يفك العانى ويشبع الجائع ويكسو العارى ولم يرد طالب حاجة قط وكان من شعراء العرب ، أنا ابنة حاتم الطائى ، فقال النبى ﷺ خلوا عنها فإن أباها كان يحب مكارم الأخلاق . ولم يكتف الرسول ﷺ بذلك بل كساها حلة وأعطاها نفقتها وبعث بها مع أول راكب إلى موطنها بالشام .

ولقد ظفر الشعر بمنزلة كريمة من تقدير النبى صلى الله عليه وسلم، تماضر بنت عمرو الخنساء الشاعرة التى يقول فيها بشار بن برد (لم تقل امراة الشعر إلا تبين الضعف فيها إلا الخنساء فانها قد غلبت الفحول) .

أدركت الخنساء الاسلام وأسلمت وكانت تلق النبى صلى الله عليه وسلم فتنشده من شعرها ويستزيدها الرسول من الانشاد متلطفا مكرما بقوله هيه يا خناس . وقد استحقت الخنساء هذا التكريم من الرسول العظيم بما كان لها من سمو الأفق فى شعرها والنخوة الاسلامية والإخلاص الدينى الذى جعلها تحتسب أولادها الأربعة فى سبيل الله وتقدمهم شهداء للاسلام والحق ومادمعت لها عين ولا أصابها جزع .

وممن عفا الرسول عنهم وجعل شعره شافعا فى جريرته كعب بن زهير الذى هجا المسلمين وآذاهم حتى أهدر رسول الله صلى الله عليه وسلم دمه فلما جاءه مسلما وأنشده قصيدته (بانت سعاد) غفر له ما تقدم من ذنبه وقد وصف فيها الرسول وصحبه بقوله .

إن الرسول لسيف يستضاء به ... مهند من سيوف الله مسلول
فى فتية من قريش قال قائلهم ... ببطن مكة لما أسلمو زولوا
شم العرانين أبطال لبوسهم ... من نسج داود فى الهيجا سرابيل
لا يفرحون إذا نالت رماحهم ... قوما وليسوا مجازيعا إذا نيلوا
لا يوقع الطعن إلا فى نحورهم ... وما لهم عن حياض الموت تهليل

وبذلك استقام الشعر على الطريقة المثلى الجديدة التى أرادها الاسلام له فاعرض عن اللغو والباطل والمديح والهجاء تبعا للحرمان والعطاء وشارك المجاهدين فى سبيل الله والحق ينصرهم ويشيد ببطولتهم ويدعو للاسوة بهم ويفت فى عضد أعدائهم فلم يعد الشعر فن لهو وترف يعكف عليه اللاهون الفارغون من السفهاء والخلعاء ولكنه يومذاك ساهم فى الحياة الجادة والنضال الحاسم فى توجيه الحياة وجهة الخير والكرامة والحق .

ومن أبطال الشعراء المجاهدين فى سبيل الله بألسنتهم ولم يكونوا أقل غناء فى هذه الحرب المقدسة ممن كانوا يجاهدون بسيوفهم وألسنتهم، حسان بن ثابت شاعر الرسول وسيفه المسلول الذى أسلم وهو فى نحو الستين من عمره فكان له من النضج الأدبى والاكتمال الشعرى ما بز به أقرانه وأظفره بخصومه من شعراء قريش فقد قال له الرسول ﷺ كيف تهجو القرشيين وأنا منهم وكيف تهجو أبا سفيان وهو ابن عمى ، فقال يارسول الله لأسلنك منهم كما تسل الشعرة من العجين ، وكان رسول الله ﷺ يهش لقوله وينصب له فى المسجد منبراً يجلس عليه ويشجعه ويدعو له بقوله (إن الله يؤيد حسان بروح القدس مادافع عن دين رسوله) ، وكان حسان يدافع عن المسلمين ويطالب بحقوقهم ويحقر من خفروا ذممهم ويصول ويجول فى وسط هذه الملاحم ببيانه واسانه فيترك المشركين وشعراءهم صرعى مجدلين بجراحهم .

جراحات السنان لها التئام ... ولا يلتـــام ما جرح اللسان

ومن مأثور قوله فى مفاخرة وفد بنى تميم وإعلاء شأن المسلمين :

إن الذوائب من فهر واخوتهم ... قد بينوا سننا للنـــاس تتبع
يرضى بها كل من كانت سريرته ... تقوى الإله وبالأمر الذى شرعوا
إن كان فى الناس سباقون بعدهم ... فكل سبق لأدنى سبقهم تبع
لا يرقع الناس ما أوهت أكفهم ... عند الدفاع ولا يوهون ما رقعوا
أكرم بقوم رسول الله قائدهم ... إذا تفرقت الأهواء والشيع

وعند إنشاد هذا الشعر قام شاعر بنى تميم الأقرع بن حابس وقال (وأبي إن هذا الرجل - يعنى الرسول - لمؤتى له لخطيبه أخطب من خطيبنا ولشاعره أشعر من شعرائنا وأصواتهم أعلى من أصواتنا) ثم أسلم القوم جميعاً .

وهذا بطل آخر من شعراء الرسول جاهد فى سبيل الله بلسانه وسنانه ، عبد الله بن رواحة الذى كان ثالث ثلاثة عقد لهم الرسول ﷺ لواء جيش مؤتة وهم زيد بن حارثة ، فجعفر بن أبي طالب ، فعبد الله بن رواحة ، وقد مضى إلى الحرب فى دوره وهو يقول :

لكننى أسأل الرحمن مغفرة ... وضربة ذات فرع يقذف الزبدا
أو طعنة بيدى حران مجهزة ... بحربة تنفذ الأحشاء والكبدا
حتى يقولوا إذا مروا على جدثى ... يا أرشد الله من غاز وقد رشدا

فكان شاعرنا من شهداء هذه الغزوة رضى الله عنه .

ولقد كان لهذا الشعر الحماسى الاسلامى سلطان قاهر وأثر واضح ظاهر فى تقوية شوكة المسلمين وتشتيت شمل المشركين ، فقد روى أن قبيلة دوس أسلمت فرقا من شعر كعب بن مالك . ذلك أنه لما فرغ الرسول من حنين وذهب إلى الطائف تجاوبت الأصداء بقصيدة كعب التى يقول فيها :

قضينا من تهامة كل وتر ... وخيبر ثم أجممنا السيوفا
فخبرها ولو نطقت لقالت ... قواطعهن دوسا أو ثقيفا
ويأتيكم لنا سرعان خيل ... يغادر خلفه جمعا كثيفا
بأيديهم قواضب مرهفات ... يزرن المصطلين بها الحتوفا
رئيسهم النبى وكان صلباً ... نقى القلوب مصطبراً عزوفا

كل ذلك شاهد حق بأن الإسلام لا يرفض الشعر ولا يجافيه ولكنه يحرم عليه أن يأخذ سبيل الباطل والغواية والهوى ، ويرسم له ما يرسم لغيره من

نزعات الناس واتجاهاتهم ومساعيهم : أن تخلص للخير وتنشد الحق وتستهدف الرشاد وصالح المسلمين .

وما زال علماء الإسلام يتدارسون الشعر ويأخذون منه الشواهد والأمثال فى تفسير كتاب الله والاحتجاج بسنة رسوله وتأديب ناشئة المسلمين ، ووجهتهم فى ذلك قول الرسول الكريم : (وإن من الشعر لحكمة) والحكمة ضالة المؤمن يطلبها أنى وجدها . وقد كان عمر بن الخطاب ينشد هذا البيت كثيراً ويستحسنه :

وإن الحق مقطعه ثلاث يمين أو نفار أو قضاء

وقد كان الإمام الشافعى رضى الله عنه عالماً بالشعر حتى أن الأصمعى مع جلالة قدره قرأ عليه أشعار الهذليين . ومن شعر الإمام الشافعى الذى ذهب مذهب الأمثال ، وجرى على كل لسان ، لما فيه من الحكمة ومكارم الأخلاق قوله رضى الله عنه :

همتى همة الملوك ونفسى نفس حر ترى المذلة كفرا
امطرى لؤلؤا جبال سرنديب وفيض آبار تكرور تبرا
أنا ما عشت لست أعدم قوتا وإذا مت لست أعدم قبرا

هذه عناية سلف المسلمين وأولهم بالشعر الصادق الحكيم الذى يلهم الخلق الكريم ، أما عناية آخرنا القريبين منا فحسبنا أن نشير إلى بردة البوصيرى وهمزيته وقد بلغتا فى مدح الرسول صلى الله عليه وسلم وتسجيل معجزاته وما فى ثنايا ذلك من الحكم والعبر ، ما جعلهما بغية كل طالب وطلبة كل متأدب ومن ذلك قوله :

وخالف النفس والشيطان واعصهما وإن هما محضاك النصح فاتهم
ولا تطع منهما خصما ولا حكما فأنت تعرف كيد الخصم والحكم

وقد نهج شوقى على منوالها منهجاً يلحقه بالبوصيرى منزلة فى الأدب ومكانا وإن تأخر عنه تاريخاً وزمانا ، وقد ألهمت القطع المذاعة منهما جمهور السامعين أجل القصائد الوطنية وأنبل المشاعر الدينية . وما أجمل قوله فى همزيته مخاطباً الرسول صلى الله عليه وسلم :

بك يا ابن عبد الله قامت سمحة ... بالحق من ملل الهدى غراء
الله فوق الخلق فيها وحده ... والناس تحت لوائها أكفاء

وقوله :

الاشتراكيون أنت إمامهم ... لولا دعاوى القوم والغلواء
داويت متئداً وداووا طفرة ... وأخف من بعض الدواء الداء
أنصفت أهل الفقر من أهل الغنى ... فالكل فى حق الحياة سواء

وهذا بيت فرد أودعه أبلغ حجة فى أروع عبارة عن وجوب الجهاد وضرورته لإقامة حق ومقاومة ظلم إذ يقول :

الحرب فى حق لديك شريعة ... ومن السموم الناقعات دواء

فمن أمثال هذا الشعر الإسلامى الوطنى يجب أن نصوغ أناشيد الشباب وترنيماتهم حتى ننشئهم على الدين والفضيلة والعزة التى كتبها الله للمؤمنين .

وفق الله العاملين إلى الأغراض النبيلة والمقاصد الشريفة وهدانا سواء السبيل .

عبد الله المراغى

مدير المساجد

بريد المجلة :

١ - الهجرة وما فيها من عبر

كتب إلينا فضيلة الشيخ حسنين غازى مفتش المساجد العام مقالا بعنوان (الهجرة وما فيها من عبر) جاء فيه :

خرج محمد صلى الله عليه من بيته ، وإذا ببابه هؤلاء الأشداء وفيهم أبو جهل صاحب الرأى فأعمى الله عنه أبصارهم ، وحثا التراب على رءوسهم ، وجعل يتلو قول الحفيظ العليم « يس والقرآن الحكيم ، إنك لمن المرسلين على صراط مستقيم ، تنزيل العزيز الرحيم ، لتنذر قوماً ما أنذر آباؤهم فهم غافلون ، لقد حق القول على أكثرهم فهم لا يؤمنون ، إنا جعلنا فى أعناقهم أغلالا فهى إلى الأذقان فهم مقمحون ، وجعلنا من بين أيديهم سداً ومن خلفهم سداً فأغشيناهم فهم لا يبصرون » .

ثم التقى صلى الله عليه وسلم بصاحبه أبى بكر على ميعاد تواعداه ، وسارا حتى وصلا غار ثور . اختفيا فيه ثلاثة أيام يأتيهما أثناءها بالطعام والأخبار ولد الصديق رضى الله تعالى عنه . آلم قريشاً أن يخرج محمد سلما وخشوا أن ينشر هذا الدين وتمتد ظلاله إلى ما وراء مكة ، ثم يعود إليها فينكس أصنامهم ويذهب ريحهم ، أغلوا فى الأجر لمن يأتى بمحمد وصاحبه ، وبعثوا بقافتهم قافوا طريقهما وقصوا أثرهما وهم بهذا الفن ذوو حذق وبصر .

سار هؤلاء القافة على هدى علمهم حتى وصلوا باب الغار ، رآهم أبو بكر فقال يا رسول الله : إن القوم لحقوا بنا ولو طأطأوا رءوسهم لرأونا ، ولكن رسول الله يطمئن أبا بكر ويهدىء من روعه ويقول : ما بالك باثنين الله ثالثهما .

وصل القافة باب الغار فإذا بالشك يصيبهم فى علمهم ، وما سار بهم هذا العلم قبل ذلك إلى خطإ وما هداهم إلى ضلال ، ولكن ماذا يصنعون ؟ رأوا بأبصارهم ما يرمى بهذا العلم تحت أقدامهم ، رأوا خيوط العنكبوت قد سد نسيجها باب الغار « وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانو يعلمون » رجعوا وقد

فقدوا علمهم وضالتهم مهزومين ، تقهقروا أمام هـذا الجيش الذى جاء ليحرس الرسول وصاحبه من قافتهم وقصاص أثرهم .

وقاية الله أغنت عن مضاعفة ... من الدروع وعن عال من الأطم

لم يترك رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة مهاجراً منها إلى المدينة فراراً من خشونة العيش فى مكة وطلباً لنعيم العيش فى المدينة ، كلا فتلك نفس سمت فوق الدنيا وما فيها ، نفس تبغى غذاءها من موائد الوحى السماوى ، نفس تريد إسعاد الناس والناس لا يريدون ، نفس لا يزيدها العنت فى سبيل الله إلا مضيا فى هذه السبيل ،لا تبالى عقبات ولا تصدها صدمات، فليكن العنت والأعنات، وليكن الأذى ما استطاع أهل الأذى ، وليكن الإغراء بالملك والإمارة ، والسطوة والسيطرة ، وليضعوا الشمس فى اليمين والقمر فى اليسار ، ولتحارب الدنيا أو تسالم .هناك أمر واحد هو الذى تحسب له هذه النفس الكاملة حساباً (إن لم يكن بك غضب على فلا أبالى) .

ما ترك صلى الله عليه وسلم مكة قلى لها ، فقد كانت أحب البلاد إليه وألصقها بنفسه ، ولكن رأى جوها بعد علاج طويل (استمر ثلاثة عشر عاماً) مشبعاً بالجراثيم الوثنية لا تعيش فيه دعوة التوحيد ، ولا يصلح فى أرضها غرس دين جديد مهما كان الخير فى هذه الدعوة ومهما كان الصلاح والإصلاح فى هذا الدين ، والدين فوق الوطن ، فخير الوطن للمواطنين ، وخير الدين للناس أجمعين « وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين » .

هاجر بهذا الدين إلى بلد يصلح فيه غرسه، وتنمو فيه تعاليمه، وترفع رايته، ويمتد فيه ظله ، ويجد فيه أنصاراً ينصرونه، وأقواماً يرون الأموال والنفوس رخيصة دونه ، كل ذلك كان فى المدينة وكانت الدعوة فيها حرة طليقة ، وكان لها ممن اعتنقها العون والمؤازرة والتساند والتكاتف وكان النصر من الله .

٢ - الهجرة وتشريعات العهد الجديد

وكتب إلينا فضيلة الشيخ عبد الحميد اللطف - خطيب مسجد ذى النون المصرى بالجيزة - مقالا تحت عنوان : (الهجرة وتشريعات العهد الجديد) جاء فيه :-

إن هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم كانت فتحا مبينا للمسلمين . وكانت ثورة على عهد الظلم والطغيان والفساد ، وبداية لعهد جديد كله عدل وأخوة ومحبة ومساواة . فبعد أن استقر الرسول صلى الله عليه وسلم فى المدينة عمل على اتحاد القلوب المتنـــافرة من قبيلتى الأوس والخزرج ، ثم يواخى بين المهاجرين والأنصار ويقول لهم : تآخوا فى الله أخوين أخوين ، وكان من نتائج هذه الأخوة التى لم تر الدنيا مثلها قط أن اقتسم الأنصار ما يملكون مع إخوانهم المهاجرين ، فقد كان الأنصار يومئذ أغنياء والمهاجرون فقراء .

وهكذا نرى الرسول قد حارب الثراء والأنانية فى أول يوم تكونت فيه الدولة الاسلامية وأثنى على الأنصار بقوله : « والذين تبوءوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون » .

ولقد جرى الصحابة على هذه السياسة الحكيمة ففى غزوة تبوك نرى أبا بكر رضى الله عنه يأتى بماله كله إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقول ضعه يا رسول الله حيث تشاء . وعمر بن الخطاب يأتى بنصف ماله كذلك ويقول ضعه يارسول الله حيث تشاء . ، وعثمان بن عفان يجهز جيش المسلمين فى غزوة العسرة بمال وفير ، وعلى كرم الله وجهه يؤثر الفقراء على نفسه فيقدم لهم طعامه الذى يحتاج إليه هو وأسرته فى يومه . وهذا عثمان أيضاً يتصدق بتجارته التى حملت على ألف بعير على فقراء المدينة ويرفض ما عرض عليه التجار من ربح .

وكان الخلفاء الراشدون يقدرون مسئولية الحاكم ويعطون كل ذى حق حقه .

مطبعة دار التأليف
٨ شارع يعقوب بمصر
تليفون ٢١٨٢٥